

مجالات الدعوة
في القرآن وأصولها



إعداد

عاظم محمد عبد المعز الفيومي

مكتبة أولاد الشيخ
الهرم - الجيزة



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠١٦١١١

لا يجوز لأحد أن يقوم بطبع هذا الكتاب
أو تصويره إلا بموافقة من المؤلف

■ من وحي القرآن ■

■ قال الله سبحانه:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

■ وقال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

■ وقال عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

■ وقال ذو النون المصري:

منع القرآن بوعدده ووعيده مقل العيون بليها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

الإهداء

* أهدي هذا الكتاب: إلى والدي الحبيب
وإلى والدتي الغالية، ببارك الله فيهما
وحفظهما وأسعدهما في الدنيا والآخرة.

* وأهديه أيضاً: إلى روح العم الحبيب،
والمعلم الأريب، والحافظ المتقن الشيخ
الجليل: أحمد بن عبد المعز رحمه الله
تعالى، ونفع الله بعلمه المسلمين من بعده

* كما أهديه إلى: حملة القرآن الكريم، من
إخواننا وأحبائنا، وإلى الدعوة إلى الله
تعالى.

خادم القرآن
أبو شهاب الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد ﷺ
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الحياة في رحاب القرآن الكريم حياة لها من المعاني والإيحاءات
والدلالات النفسية، ما يعجز قلم البيان عن الإفصاح عنها، وعن مكنون
أسرارها وهدايتها للقلوب الغافلة، والعقول الحائرة.

إن تلاوة هذا الكتاب العظيم، وتفهم ألفاظه ومعانيه، جعلني أقف طويلاً
أمام كمال هذا الكتاب في أسلوبه وبلاغته، وجماله وروعته، وشموله البديع في
عقائده وأخلاقه وتشريعاته.

فالقرآن هو الداعي الأول إلى معرفة الله سبحانه، بأسمائه وصفاته وكماله
وجماله، وذلك من خلال تلك الآيات القرآنية المقروءة، والآيات الكونية المرئية،
وهو أيضاً الداعي إلى معرفة حقائق الوجود الإنساني في هذا الكون الفسيح،
ومعرفة رسالته وغايته فيه، وكونه مستخلف عن الله في أرضه.

وهو أيضاً الكتاب الكامل الشامل، لحقائق الأمم وتاريخها في الماضي الغابر من

أمثال قوم نوح وعاد وثمود، وفي المستقبل كإخباره بغلبة الروم على عدوهم. وهو الكتاب الحق، المنزل على النبي ﷺ هداية للعالمين، وقد ضمنه الله تعالى كل خير ورحمة، وضمنه أيضاً كل الحاجات البشرية في جميع جوانبها الفردية، والجماعية، والسياسية والاقتصادية، والأخلاقية وغير ذلك في وضوح تام، وبيان شافٍ.

إن القرآن يدعو دائماً إلى الخير والإيمان، ويدعوا إلى البر الإحسان، ويدعوا إلى التوحيد الخالص، والإعراض عن الشرك والمشركين، فهو كتاب الدعوة الأول، الذي خاطب الله به إلى خلقه وعباده، وأرشدهم به إلى التوحيد والهداية، وهداهم به إلى صراط الله المستقيم، وأسعدهم به في دار الدنيا، كما يسعدون به في دار الآخرة.

وقد تنوعت مجالات الدعوة في القرآن الكريم، في خطابها للناس ودعوتهم إلى الهدى والحق، والتوحيد والإيمان، وإلى إتباع الرسل عليهم السلام، والإيمان بهم، وإلى العناية بمكارم الأخلاق والنهي عن قبيحها، وتهذيب النفوس، وإصلاح القلوب والمجتمعات، وإقامة العدل في الأحكام والمعاملات.

وقد تأملت جملة طيبة من هذه المجالات الدعوية الهادية، وهذه المطالب العالية التي دعا القرآن إليها، وحث عليها، وأشاد بها وصاغ من أصولها أصولاً وأركاناً لهذا الدين، حتى يتم بنائه، وتكمل أركانه، وتقوم أصوله ومكارمه، وتستبين معالمه.

فوقفت متدبراً ومتأملاً أمام هذه الدعوات والخطابات القرآنية الرائعة، ومدى كمالها وهدايتها للإنسانية.

وسطرت هذه الكلمات المتواضعة، وما هي إلا وقفات مع القرآن الكريم،
ومع دعواته الشاملة، الهادية للقلوب والنفوس.

كما أنني أذكر هنا أن طول صحبتي لكتاب الله عز وجل وتلاوته في
الصلوات، وقيامي على تعليمه وتحفيظه للمسلمين، ومطالعتي للتفسير القرآنية،
ومعاني الألفاظ فيها، وتقديمها شرحاً وبيئاً للناس من خلال الخطب
والمحاضرات، كل ذلك جعلني أقف مع كلام الله تعالى في خشوع وخضوع،
وحب وإعجاب، من كمال هذه الدعوات الرائعة الوافية التي ضمنها الله في
كتابه العزيز.

وحسبي من هذا كله أن يغفر زلاتي أهل العلم والفضل، وأن يقابلوا ذلك
بالنصح والإرشاد، فإن الكمال لله وحده.

وما من كتاب وضعه صاحبه إلا كلما أعاد فيه النظر، وجد فيه من النقص
والخلل، ما يعلم به أن كتاب الله وحده هو الكتاب الرباني الكامل المحفوظ من
كل نقص أو خلل أو تحريف أو تبديل، أو تغيير.. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾.

وبعد:

فإني لاسأل ربي أن أكون قد وفقت في هذا الإعداد المتواضع، سائلاً ربي
أن يتقبله عنده، وأن ينفع به سائر المسلمين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ﷺ.

كتبه
أبو شهاب الدين
عاطف محمد عبد المعز الفيومي

غفر الله له ولوالديه.

في غرة ذي الحجة ١٤٢٥ للهجرة النبوية.

الجيزة - فيصل.

وقفات مع القرآن الكريم

مدخل: وقفات مع القرآن الكريم
الوقفة الأولى: بيان فضل القرآن ووصفه و منزلته
الوقفة الثانية: بيان وجوب تدبر القرآن الكريم.
الوقفة الثالثة: بيان شمولية القرآن الكريم.

مدخل:
وقفات مع القرآن الكريم



الوقفة الأولى:

بيان فضل القرآن ووصفه و منزلته.

• القرآن الكريم: هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور.

هذا القرآن هو الكتاب المبين الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْزِيلٌ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ ﴾، وهو المعجزة الخالدة الباقية المستمرة على تعاقب الأزمان والدهور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهو جبل الله المتين، والصراط المستقيم، والنور الهادي إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراطٍ مستقيم.

• هذا القرآن: هو وثيقة النبوة الخاتمة، ولسان الدين الخنيف، وقانون الشريعة الإسلامية، وقاموس اللغة العربية، هو قدوتنا وإماننا في حياتنا، به نهتدي، وإليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه، وإتباع منهجه، وشقاوتنا في تنكب طريقه والبعد عن تعاليمه.

وهو رباط بين السماء والأرض، وعهد بين الله وبين عباده، وهو منهاج الله الخالد، وميثاق السماء الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء.

وباختصار فإن كلام الله سبحانه وتعالى لا يدانيه كلام، وحديثه لا يشابهه حديث قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ولقد رفع الله شأن القرآن، ونوه بعلو منزلته، فقال سبحانه: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾ [طه: ٤] كما وصفه سبحانه وتعالى بعدة أوصاف مبيّنة فيها خصائصه التي ميزه بها عن سائر الكتب^(١). فمن ذلك:

• قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأنعام: ١٥٥].

قال العلامة ابن سعدى رحمه الله:

«القرآن العظيم والذكر الحكيم فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه، وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة منه ومن فعله وعواقبها الوخيمة فاتبعوه فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه»^(٢).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:

«فيه الدعوة إلى إتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة

(١) غاية المرید للشيخ عطية قابل نصر .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للعلامة عبد الرحمن بن سعدى.

لأنه جبل الله المتين»^(١).

* وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وصف الله كتابه هنا بصفات كثيرة وهي التبيان، والهدى، والرحمة، والبشرى، فالقرآن الكريم تبيانٌ وبيان تام لكل ما يحتاجه الإنسان في مسيرته في الحياة الدنيا، من عقيدة صحيحة، وسلوكٍ قويم، وشريعةٍ محكمة، فلا حجة بعده لمحتج، ولا عذر لمعتذر، فلا عقيدة أو سلوك أو شريعة يرضاها الله إلا ما جاء فيه، ولا صلاح للفرد والجماعة إلا بهذه العقيدة والعبادة والسلوك، والشرع والحكم الإلهي التام الكامل المنزه عن الشبهات والهوى فالله سبحانه الذي خلق الإنسان، وهو من يبين له ذلك وحده، ففيه بيان الأصول والعقائد والقواعد لكل شيء، وفي سننه ﷺ التفصيل والشرح.^(٢)

هذه بعض أوصاف القرآن الواردة في كتاب الله عز وجل فالقرآن يتحدث عن نفسه فيها بأجلى صورة وأوضح بيان.

• أما السنة النبوية فحديثها عن القرآن ووصفها لآياته، وبيان فضله وعلو منزلته فالنصوص فيها كثيرة منها:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به» فحث على كتاب

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي.

(٢) ثنائيات وثلاثيات وخماسيات هادية للمهندس خالد حمزة.

الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي» وفي لفظ: «كتاب الله هو جبل الله المتين، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة».

وروي ابن حبان في صحيحه عن أبي شريح رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله؟» قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً».

وروي مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

كل هذه النصوص تبين لنا فضائل هذا القرآن العظيم وتعلي شأنه ومكانته، لأنه كلام الله وحده سبحانه، وصفه منزله بكل كمال، وجعل في تلاوته المهابة والجلال، وجعله أيضاً أساس الشريعة الإسلامية، وجعله مصدر الأحكام الشرعية، والمسائل الفقهية، فهو الكتاب الحق الذي عليه مدار سعادتنا في أمر ديننا ودنيانا.

* ويرحم الله القائل:

سأصرف وقتي في قراءة ما أتى
عن الله مع ما جاءنا عن رسوله
فإن الهدى والفوز والخير كله
بما جاء عن رب العباد ورساله
وقال آخر:

القرآن أصل أصول الدين قاطبة
فكن هديت به مستمسكاً وثقاً
قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر فدخل في

جملة الناس رجلٌ يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال:
فتكلم فأحسن الكلام والعبارة.

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم.

قال: أسلم حتى أفعل بك واصنع ووعدته، فقال: ديني ودين آبائي
وانصرف.

قال: فلما كان بعد سنة جاء مسلماً، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام.

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: أأنت صاحبنا بالأمس؟

قال: بلى.

قال: فما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن امتحن هذه الأديان، وأنت تراني
حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت،
وأدخلتها البيعة فاشتريت مني. وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت
فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني.

وعمدت إلى القرآن فحملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها
الوراقين فتصفحوها.

فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا
كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.^(١)

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

• قصائد أهل العلم في وصف القرآن وبيان فضله:

(١) موارد الظمان لدروس الزمان عبد العزيز محمد السلطان.

• يرحم الله الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي يوم أن قال في قصيدته البديعة، الموسومة «بنونية القحطاني» عن وصف القرآن وفضله:

تنزيلُ رب العالمين ووحيةُ
وكلامُ ربي لا يجرى بمثله
وهو المصون من الأباطل كلها
من كان يزعم أن يباري نظمه
فليات منه بسورةٍ أو آيةٍ
فلينفرد باسم الألوهية وليكنْ
فإذا تناقض نظمه فليلبسْ
أو فليقرَّ بأنه تنزيل من
لا ريب فيه بأنه تنزيله
الله فصله وأحكم آية
هو قوله وكلامه وخطابه
هو حكمه هو علمه هو نوره
جمع العلوم دقيقةها وجليلها
قصصٌ على خير البرية قصه
وأبان فيه حلاله وحرامه
من قال إن الله خالقُ قوله

بشهادة الأبحار والرهبان
أحد ولو جمعت له الثقلان
ومن الزيادة فيه والنقصان
ويراه مثل الشعر والهذيان
فإذا رأى النظمين يشتبهان
رب البرية وليقل سبحاني
ثوب النقيصة صاغراً بهوان
سماهُ في نص الكتاب مثاني
وبدايةُ التنزيل في رمضان
وتلاه تنزيلاً بلا أحيان
بفصاحةٍ وبلاغيةٍ وبيان
وصراطه الهادي إلى الرضوان
فيه يصولُ العالم الرباني
ربي فأحسن أيماناً وإحسان
ونهى عن الآثام والعصيان
فقد استحلت عبادة الأوثان

وقال رحمه الله أيضاً:

قل غير مخلوق كلام إلهنا وأعجل ولا تك في الإجابة واني
وكلامه صفة له وجلالة منه بلا أمد ولا حدثان

* وقال الإمام الشاطبي في قصيدته الموسومة «بحر الأمانى» في القراءات:

وبعد فحبل الله فينا كتابه فجاهد به حبل العدا متحبلا
وأخلق به إذ ليس يخلق جدة جديداً مواليه على الجدم مقبلا

وقال أيضاً رحمه الله:

وإن كتاب الله أوثق شافع وأغنى غناءً واهباً متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته من القبر يلقاه سنأ متهللا
هنالك يهنيه مقبلاً وروضه ومن أجله في ذروة العز يجتلا
يناشد في إرضائه لحبيبه وأجدر به سؤلاً إليه موصلا
فيا أيها القارئ به متمسكاً مجلاً له في كل حال مبجلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما ملابس أنوار من التاج والحلا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه أولئك أهل الله والصفوة الملا

* وقال العلامة حافظ بن أحمد حكيم رحمه الله في قصيدته الموسومة

«بسلم الوصول إلى علم الأصول» في التوحيد:

كلامه جل عن الإحصاء والحصر والنفاذ والفاء

لو صار أقلاماً جميع الشجرِ والبحر تلقى فيه سبعةُ أبحرِ
والخلق تكتبه بكل آنِ فنت وليس القول منه فان
والقول في كتابه المفصلُ بأنه كلامه المنزلُ
على الرسول المصطفى خيرِ ليس بمخلوقٍ ولا بمفتري
يُحفظ بالقلب وباللسانِ يُتلى كما يُسمع بالأذانِ
كذا بالأبصار إليه ينظرُ وبالأيادي خطه يسطرُ
وكل ذي مخلوقة حقيقةً دون كلام بارئ الخليفةُ
وقال أيضاً رحمه الله:

جلت صفاتُ ربنا الرحمنِ عن وصفها بالخلقِ والحدثانِ
فالصوت والألحان صوتُ القاري لكنما المتلو قول الباري
ما قاله لا يقبل التبديلاً كلا ولا أصدق منه قبيلاً

* وقال الإمام شرف الدين البوصيري رحمه الله في «بردة المديح»:

آياتُ حقٍ من الرحمن محدثةٌ قديمةٌ صفةُ الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمانٍ وهى تخبرنا عن المعاد وعن عادٍ وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزةٍ من النبيين إذا جاءت ولم تدم
محكماتُ فما تبقيين من شبهٍ لذي شقاقٍ وما تبغين من حكم
ما حوربت قطُ إلا عاد من حربٍ أعدى الأعادي إليها ملقى السلم

ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجاني عن الحرم
بها معانٍ كموج البحر في مددٍ وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الإكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بجبل الله فاعتصم

الوقفه الثانية:

بيان وجوب تدبر القرآن الكريم

إن من الواجب على كل مسلم أن يتدبر هذا القرآن العظيم، وأن يتفهم آياته ومعانيه، وأن يعيش معه بروحه وفكره ووجدانه كما قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، قال العلامة ابن سعدى رحمه الله:

«أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون القرآن كتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفندتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكلماتها، ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل ورهبهم من العقاب الويل»^(١)

ولا يخفي علينا ما للتدبر من آثار وفوائد وقد كان رسول الله ﷺ يتدبر القرآن، ويردده وهو قائم بالليل، حتى أنه في إحدى الليالي قام يردد آية واحدة من كتاب الله، وهو يصلي لم يجاوزها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه أحمد، وهذا يدل على وجوب تدبر القرآن الكريم ومعايشة آياته وفهم معانيه وما تدعوا إليه.

(١) تيسير الكريم الرحمن . لابن سعدى.

والقرآن فيه توحيد، ووعد ووعيد، وأحكام وأخبار، وقصص وآداب، وأخلاق وآثارها في النفس متنوعة.

وقد كان صحابة النبي ﷺ يقرأون ويتدبرون، ويتأثرون وكان أبو بكر - رضي الله عنه - رجلاً أسيفاً رقيق القلب، إذا صلى بالناس وقرأ كلام الله تعالى لا يتمالك نفسه من البكاء، ومرض عمر - رضي الله عنه - من أثر تلاوة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿۸۷﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿۸۸﴾﴾ [الطور: ٨٧، ٨٨].

وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لو طهرت قلوبنا ما شبت من كلام ربنا، وقتل شهيداً مظلوماً ودمه على مصحفه، وأخبار الصحابة في هذا كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين.

وصدق القائل:

فشمروا ولذوا بالله واحفظوا كتابه
هو الذخر للملحوف والكنز والرجا
به يهتدي من تاه في معمعة الهوى
ففيه الهدى حقاً وللخير جامع
ومنه بلا شك تُنال المنافع
به يتسلى من دهته الفجائع
فنسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا وغمومنا. اللهم آمين.

الوقفه الثالثة:

بيان شمولية القرآن الكريم

لقد تميز كتاب الله تعالى بصفاتٍ وخصائصٍ لم تكن لكتابٍ سماويٍّ سواه،
فمن هذه الخصائص:

١- أنه كلام الله وحده.

٢- التيسير، للتلاوة والحفظ والفهم والعمل.

٣- الإعجاز بكل أنواعه: البلاغي، والتشريعي، والموضوعي، والعلمي.

٤- الخلود على مر العصور والأجيال.

٥- الشمول لكل مناحي الحياة الإنسانية فهو كتاب الدين كله والدنيا
أيضاً. ولنقف هنا وقفه بسيطة مع الخصيصة الخامسة ألا وهي شمولية
القرآن.

✽ شمولية القرآن:

لم يقف القرآن الكريم عند واحدٍ من الجوانب الإنسانية بل إنه تحدث
بشموليةٍ إعجازيةٍ بديعةٍ عن كل الجوانب التي يحتاج الإنسان وخاصة في
الجوانب الدينية والتعبدية، لأنها مجالات متعددة لذلك شملها القرآن في ثنايا
حديثه وآياته:

١- الشمول العقدي:

يتمثل هذا الشمول ببيان حقيقة توحيد الله سبحانه وتعالى بصورة واضحة،
وذلك ببيان ذاته وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

وبيان سائر أركان الإيمان الستة: « الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر والقضاء والقدر».

كما يتمثل بربط الكون والإنسان والحياة بالله سبحانه وتعالى، ومن ثمرات هذا الشمول أن الإنسان يشعر برقابة الله تعالى له في جميع أقواله وأفعاله، فيولد في نفسه عنصر النقد الذاتي والمحاسبة الذاتية، وبالتالي فالمسلم يخلص لله في عمله ويخلص لله في عبادته ويلتزم بأوامر الله ويحْتَنَب نواهيه.

٢- الشمول التشريعي:

يتضمن القرآن الكريم تشريعاً كاملاً لمختلف مناحي الحياة فيشمل: العبادات، والمعاملات، والعقوبات، والسياسة الخارجية، ومعاهدات السلم والحرب والحياد، وسائر الأنظمة التي يقوم عليها المجتمع، ويتصف هذا التشريع القرآني بصفتين رئيسيتين وهما: العمومية والديمومة.^(١)

ولهذا جعله الله للناس كلهم وللعالمين دستوراً هادياً وشافياً، وجعله خالدًا دائماً على مر الزمان والأجيال.

فالقرآن دستورٌ شامل، وصفه منزله - وهو رب العالمين - بأنه تبيانٌ لكل شيء، فقد خاطب الرسول المنزل عليه ﷺ بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد قال الخليفة الأول: لو ضاع مني عقل بعير لوجدته في كتاب الله. ومن هنا يتضح لنا كمال القرآن في هدايته وشموله، وعظمة بلاغته وأسلوبه، ولذا فإن علينا دوام تلاوته وفهمه مع كون العمل به من أكد فرائضه.

٣- الشمول الخطابي للنفس الإنسانية:

(١) أضواء على إعجاز القرآن الكريم للشيخ عكرمة صبري.

ومعنى ذلك أن القرآن شمل في خطابه العقل والوجدان والعاطفة، لأن القرآن الكريم حين يدعو إلى العقيدة الصحيحة في الله، وفي كل ما جاء عنه، وحين يدعو إلى التزام تشريع معين في عبادتنا أو معاملتنا أو نظمنا الاجتماعية، وحين يدعو إلى الخلق الكريم، والأدب الحميد، واتخاذ ذلك منهجاً لنا في سلوكنا الشخصي مع الله ومع الناس، حين يدعو القرآن إلى هذا كله لا يدعو إليه دعوة جافة وخشنة ليس فيها إلا مجرد الأمر الصارم أو النهي العنيف، وإنما يدعو إليه دعوة الحكمة العاقلة، فيورده بأسلوب الأمر أو النهي مقروناً بوسائل الإقناع بصدقه، وصلاحيته، وحسن عاقبته.

❖ ووسائل الإقناع متعددة:

فتارة يكون الإقناع عن طريق العقل، وتارة يكون عن طريق الوجدان، وتارة تالفة يكون عن طريق العاطفة.

ولقد سلك القرآن الكريم في دعوته هذه الطرق الثلاثة:

١- خاطب العقل: لأن من الناس من لا يؤمن إلا بالدليل العقلي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكلتا الآيتين دليل منطقي واضح يدركه من له إلمام بأساليب المناطقة في استدلالهم، ويدركه كل من له عقلٌ يعي ولو لم يكن على علم بأسلوب المناطقة، ثم هناك آيات الله في السماوات وفي الأرض وفي أنفسنا، وكلها براهين عقلية تشهد بوجود الله وربو بيته.

والقرآن الكريم - في أكثر من آية - يلفت أنظارنا إلى هذه الدلائل والبراهين،

حتى تقوم الحجة لله على الناس.

٢- وخاطب القرآن الوجدان:

لأن من الناس من لا يحفزه إلى الانقياد والطاعة إلا ما يحرك وجدانه، ويثير فيه جانب الرغبة أو الرهبة فإذا ما أمر بمعروفٍ وقرن الأمر بالترغيب رغبت نفسه في الامتثال أملاً في الثواب، وإذا ما نهى عن منكر وقرن النهى بالترهيب كف نفسه عنه رهبة من الوقوع تحت طائلة العقاب. وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم آيات تحرك في الوجدان نوازع الخير بما تضمنته من وعد بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وآيات أخرى تنيم في الوجدان نوازع الشر بما تضمنته من وعيد بشقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

- فمن الآيات التي تحرك في الوجدان نوازع الخير، وتبعث على امتثال الأوامر الإلهية:

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

-ومن الآيات التي تنيم في الوجدان نوازع الشر، وتبعث في النفس الخوف من الوقوع فيما نهى الله عنه:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠، ٢١].

٣- وخاطب القرآن العاطفة:

لأن من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلا إذا خوطب بما يهز عاطفته، ويوقظ في نفسه كوامن الحب والشفقة والرحمة.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى عمل البر والخير، وأخرى تنهي عن ارتكاب بعض ما لا يليق بالإنسان، وهذه وتلك مقرونة بما ينبه العواطف الإنسانية ويثيرها حتى تكون المحرك الدافع لفعل الخيرات والمبرات، والمثبط عن ارتكاب الحماقات والموبقات.

- فمن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف الدافعة إلى فعل الخيرات

والمبرات:

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥١].
﴿لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

- ومن الآيات المقرونة بما يحرك العواطف المعوقة عن ارتكاب الحماقات

والموبقات:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

وهكذا يخاطب القرآن الكريم العقل والوجدان والعاطفة حتى يصل إلى القلوب بتعاليمه ومفاهيمه من كل هذه النواذف.

وتلك رحمة من الله بعباده الذين شرحوا صدورهم للقرآن، ولم يصدوا دونه هذه المنافذ ويضعوا عليها أقفالاً من المكابرة والعناد.^(١)

هكذا نرى الشمولية القرآنية البديعة في أسلوبه البديع البليغ الذي جمع بين العقل المفكر، والوجدان الذي تلهبه النوازع، والعاطفة التي تحركها البواعث والغرائز.

وهكذا نجد القرآن كله مزيجاً حلواً سائغاً، يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسان.^(٢)

(١) الوحي والقرآن للدكتور محمد حسين الذهبي.

(٢) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني.



إِفْصِيحُكَ الْأَوَّلُ

مجالات
الخطاب في القرآن

مجالات الخطاب في القرآن



من تأمل الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتنويعه، استبان له وجهٌ بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وخصيصةٌ من خصائصه الأكيدة، وبيان ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكتهم، ومللهم.

وهذا فارقٌ بديع في نوعية الخطاب القرآني البليغ من غيره من سائر الخطابات، حيث أننا إذا نظرنا إلى الخطاب البشري مهما بلغ من بلاغته وروعته، وبيانه وفصاحته فإنه لا يعني بجميع الجوانب الإنسانية في نداءه، من حيث مخاطبته للعقل والعاطفة معاً، أو مخاطبته للعامة والخاصة كذلك، بل إنه ربما يعني بجانب على حساب جانب آخر، ولا يقيم الميزان الحق بينهما، ومن ثم فهو خطاب بشري يعتريه النقص والخطأ، ولا يصل إلى ذروة الكمال أبداً مهما أوتي صاحبه من الفصاحة والبيان.

والخطاب القرآني حينما نتدبر ونستقري آيات القرآن، نرى أنه في نداءته وتوجيهاته يتسم بالشمول، حيث أنه لم يجعل نداءه إلى فئةٍ دون فئة، أو جنسٍ دون جنس، أو أهل دينٍ دون غيرهم.

بل شمل ذلك الخطاب أصناف العالمين من المخاطبين على تنوع أجناسهم وألستهم وأديانهم التي يدينون بها.

فقد خاطب الله سبحانه الناس بصيغة العموم في بعض آيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في بعض آخر، وخاطب أصناف الناس من المؤمنين والكفار والمشركين وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى وهذا

الأمر يعلم بالتبوع والاستقراء لآيات القرآن الكريم.

ونحن إذا تأملنا بدقة الجانب الخطابي، والذي خوطب به الناس عامة، والمؤمنين خاصة، وجدنا أن القرآن يدعوا إلى المطالب العالية، والفضائل السامية، والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير والدعوة إلى هذه المطالب والفضائل والأخلاق والتشريعات في الأسلوب الخطابي القرآني، لا تقف أمام نوع واحد أو صورة واحدة من صور الدعوة، بل إننا نرى أن من خصائص هذا القرآن البلاغية، وكماله التشريعي، أنه نوع بين أساليب الخطاب فيه للنفس البشرية، ومن ثم نوع أيضاً المجالات المخاطب بها، والتي هي موضوع كتابنا هذا.

فكان بذلك أعظم الهداية والإرشاد للقلوب الغافلة، والعقول الحائرة، والنفوس الضالة.

* * *

* مجالات الخطاب القرآني لأصناف الناس:

وهنا نقف وقفة قرآنية مع مجالات الخطاب القرآني وشموليته لأصناف المخاطبين، وبيان ذلك فيما يلي:

١- خطاب القرآن للناس عامة :

باستقراء آيات القرآن الكريم نجد أن الله تعالى قد وجه الخطاب لعموم الناس في غير موضع من القرآن، وكل خطاب فيه له هدفه ومقاصده، ومجموع سياق هذه الآيات الواردة في خطاب الناس عشرين موضعاً، إلا خمسة مواضع منها، ثلاثة منها سياق خطاب الله للنبي ﷺ لدعوة الناس إلى إتياعه والإيمان برسالته وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]. وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩].

أما الخطاب الرابع فهو من سياق كلام نبي الله سليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِّن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

أما ما عدا هذه الأربعة فهي خطابٌ من الله سبحانه وتعالى إلى عموم الناس.

*وهذه بعض الآيات الواردة في ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٢- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣].

٤- وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

٥- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

٦- وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

٧- وقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣].

٨- وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٩- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣].

١٠- وقوله جل ثنائه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣].

١١- وقوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥].

١٢- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

١٣- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

إلى غير ذلك من الآيات في مخاطبة الناس عمومًا ودعوتهم إلى الهدى والخير.

٢- خطاب القرآن للأنبياء والمرسلين:

ومن مجالات الخطاب القرآني خطابه للأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأمرهم بدعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد، وإلى أصول الخير والسعادة وأشياء

أخرى، ومن ذلك:

١- قوله عز وجل في شأن نبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿[هود: ٣٦، ٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿[هود: ٤٥، ٤٦].

٢- قوله سبحانه في شأن نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٧].

٣- قوله عز وجل في شأن نبي الله يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مریم: ١٢].

٤- قوله سبحانه في شأن نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

٥- قوله عز وجل في شأن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿[الحج: ٢٦، ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿[الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

٦- قوله تعالى في شأن نبي الله داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

٧- قوله سبحانه في شأن نبي الله موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي يَا مُوسَىٰ ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١١، ١٤].

وقوله سبحانه: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه ٤٢، ٤٣].

٨- قوله سبحانه في شأن النبي محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحنة: ١٢].

وقول جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢، ١].

وقوله تبارك اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

والآيات في شأن النبي ﷺ كثيرة بفضل الله تعالى.

٣- خطاب القرآن للمؤمنين والصالحين:

وقد ورد الخطاب بصفة الإيمان خاصة في القرآن في حوالي تسعة وثمانين موضعاً في القرآن وكذا خطابه لسائر الصالحين والمؤمنين.

* فمن ذلك:

١- قوله عز وجل في شأن المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمِعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤].

٢- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٣- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

٤- وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٦- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

٧- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٨- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٩- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

- ١٠- وقوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].
- ١١- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].
- ١٢- وقوله جل ثناءه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].
- ١٣- وقوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].
- ١٤- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].
- ١٥- وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].
- ١٦- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].
- ١٧- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].
- ١٨- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].
- ١٩- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- ٢٠- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

٢١- وقوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

٢٢- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

٢٣- وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات: ١].

٢٤- وقوله جل ثناءه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

٢٥- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

٢٦- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المجادلة: ٩].

٢٧- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدِمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨].

٢٨- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾ [المتحنة: ١].

٢٩- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ١٣].

٣٠- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ﴾ [التحریم: ٨].

هذه بعض الأمثلة الخطابية للفتة المؤمنة الواردة بلفظ الإيمان، وهناك أمثلة أخرى واردة بفعل الأمر، وترك النهي كما أبان القرآن ذلك، نذكر منها على سبيل المثال:

١- قول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٤- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥].

٥- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

٦- وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخذُومًا﴾

[الإسراء: ٢٢].

٧- وقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٢، ٣٣].

٨- وقوله جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

٤ - خطاب القرآن لأهل الكتاب وغيرهم من المشركين:

وقد خاطب الله سبحانه في كتابه العزيز أهل الكتاب ودعاهم إلى إتباع الهدى والحق وإلى الحكم بما أنزل الله، وإلى الإيمان برسالة النبي ﷺ ومتابعته وكذا خطابه لسائر الكفار والمشركين إلى معرفة الله وحده وعبادته سبحانه وقد تكرر ذكر هذا الخطاب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم نذكر منها ما يلي:

١- قول الله عز وجل في شأن أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٢- وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

٣- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

٤- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

٥- وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

٦- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [المائدة: ٧٧].

٨- وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

٩- وقوله عز وجل: ﴿قُلْ فَلِمَ قُتِلْتُمْ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة: ٩١].

١٠- وقوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾

[آل عمران: ١٢].

١١- وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾

[آل عمران: ٢٠].

١٢- وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[آل عمران: ٩٣].

١٣- وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا

وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩].

١٤- وقوله جل ذكره: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ﴾

[الأنعام: ٦٣].

١٥- وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى

لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

١٦- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾

[الأنفال: ٣٨].

١٧- وقوله تعالى شأنه: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾

[الأعراف: ١٩٥].

١٨- وقوله جل ذكره: ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

١٩- وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٤].

٢٠- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ

* * *

٥- خطاب القرآن للمنافقين وأمثالهم:

ورد هذا الخطاب القرآني للمنافقين في جملة من الآيات القرآنية نذكر منها:

١- قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾

[التوبة: ٥٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١].

٤- وقوله تعالى: ﴿ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤].

٥- وقوله جل ثناؤه: ﴿ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

٦- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

* وهناك بعض أنواع الخطاب الأخرى مثل خطاب الخلق بعضهم لبعض، كخطاب المنافقين بعضهم لبعض، أو خطاب المؤمنين للكافرين، أو خطاب الكفار للمؤمنين كالذي كان ذكره في سورة الأعراف، أو خطاب المؤمنين للمؤمنين كالذي في سورة الطور، أو خطاب الكفار للكفار كالذي في سورة سبأ والأعراف وغير هذه الخطابات كثيرة ولنكتفي هنا بذكر الأنواع التي بينها لكونها كافية بالعرض إن شاء الله تعالى.

ولنشرع هنا بعون الله تعالى في ذكر مجالات الدعوة في القرآن والتي خاطب الله بها المؤمنين والصالحين من عباده سبحانه ودعاهم إليها، وحثهم على الإتيان والاستجابة لله ولرسوله ﷺ، فيما دعاهم إليه والابتعاد عن كل ما نهى الله

ورسوله ﷺ عنه، ليحصل لهم بذلك الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة وإلى موضوع الكتاب.

الفصل الثاني

الدعوة إلى الإيمان والتوحيد
ونبذ الكفر والشرك.

دعوة القرآن إلى الإيمان والتوحيد ونبذ الكفر والشرك.



من أول مجالات الدعوة في القرآن الكريم التي خاطب الله بها خلقه وعباده: دعوته إلى الإيمان بالله تعالى وحده، وإخلاص التوحيد له سبحانه، ونبذ الكفر والشرك، والإعراض عن الخرافات والانحراف عن العقيدة الصحيحة بكل الأشكال والصور المخالفة للعقل والفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها، ألا وهي فطرة التوحيد والإيمان بالله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لِأَنْ تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

• ضرورة الإيمان والعقيدة:

إن الإنسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق وإتباعه، وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق، أو تمرده عليه وإن عرفه.

ولما كان الله سبحانه هو الحق، ومنه الحق، وأمره وتدبيره هو الحق، فإن سبب فساد الحياة البشرية كلها هو الكفر بالخالق، والكفر بأمره وتدبيره، والكفر بما أنزل من الحق، وسبب صلاح هذه الحياة كلها هو الإيمان بالله عز وجل.

ولذلك قال عز من قائل: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * [طه: ١٢٣، ١٢٤].

ولا يتبع هداه إلا من آمن به وذكره، واستشعر وجوده، وصفاته، وعظمته سبحانه.

ومن نسي ذكر الله أعرض عن هداه، والإنسان في هذه الدنيا ممتحن بهذين

الأميرين:

١- ذكر الله وإتباع هداة.

٢- أو نسيانه والضلال.

فهو على مفترق طريقين لا ثالث لهما: طريق الإيمان والهدى والسعادة في الدنيا والآخرة، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين.

لذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان، ويعلمه لغيره أمور الإيمان وأركانه ومقتضياته، وأحوط ما يحتاط ويتسلح به معرفة معالم الكفر وأسبابه ومقتضياته.

فإن كان على بصيرة من هذين الأمرين الخطيرين، عرف الإنسان طريق سعاداته فالتزمه، ولم يجد عنه، وطريق شقائه فاجتنبه.^(١)

ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان، ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته.

ولقد كانت الدعوة إلى عقيدة التوحيد والإيمان، أول شيء قام به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة الإسلامية.

ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية، يسمو بها عن الماديات الوضيعة، ويوجهها دائماً وجهة الخير والنبل والنزاهة والشرف.

وإذا سيطرت هذه العقيدة أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، من الشجاعة والكرم، والسماحة والطمأنينة، والإيثار والتضحية.^(٢)

* أما الإنحراف عن العقيدة الصحيحة فهو مهلكة وضياع، لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل الصالح، والفرد بلا عقيدة صحيحة،

(١) الإيمان وأركانه. محمد نعيم ياسين.

(٢) إسلامنا. السيد سابق.

يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة.

حتى تضيق عليه حياته، ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بأنها حياته ولو بالإنتحار، كما هو الواقع في كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده العقيدة الصحيحة هو مجتمع ضال، ويفقد كل مقومات الحياة السعيدة، وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الضالة، لأن هذه المقومات المادية، تحتاج إلى توجيه رشيد للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى هذه العقيدة الصحيحة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية، فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحذار كما هو مشاهد اليوم في الدول الغير إسلامية التي تملك مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.^(١)

ونزيد الحديث في الإيمان ونقيضه والتوحيد ونقيضه أيضاً فيما يلي:

أولاً: الإيمان.

(أ)- أركان العقيدة:

وهذه العقيدة الإسلامية تقوم على ستة أركان تسمى أركان الإيمان،

وهي بإيجاز كما يلي:

١- الإيمان بالله تعالى: رباً وإلهاً موصوفاً بكل كمال، منزهاً عن كل نقصان.

(١) العقيدة الإسلامية أحمد آل سبالك.

٢- الإيمان بملائكة الله: وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، خلقهم الله من نور، منهم الحفظة على العباد، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، ومنهم خزنة النار، ومنهم غير ذلك.

٣- الإيمان بكتب الله: وأنها من وحي الله تعالى إلى من اصطفاهم من رسله، تحمل الشرائع والهدى والنور للمؤمنين المتقين.

٤- الإيمان برسول الله: مبشرين ومنذرين، قطع الله تعالى بهم على الناس الحجة، وبين بهم للعباد المحجة، فمن آمن بهم وأطاعهم، واتبع هداهم نجا، ومن كفر بهم وعصاهم، واتبع غير هداهم هلك.

٥- الإيمان باليوم الآخر: وأنه اليوم الذي تنتهي فيه هذه الحياة، وتكون فيه الحياة الآخرة حيث البعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

٦- الإيمان بالقضاء والقدر: وكون القضاء والقدر نظام للحياة كلها لا يخرج بشئ منها وإن قل، عما حواه كتابه الذي هو اللوح المحفوظ، حيث كتب الله تعالى فيه كل ما قضى بوجود من خير وشر في الدنيا، وسعادة وشقاء في الآخرة.

فهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان والعقيدة، وهي الأصول التي بعث بها الرسل جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه، ونزلت بها الكتب، ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً، على الوجه الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن جحد شيئاً منها خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين.

(ب)- أصول الإيمان في القرآن:

وهذه جملة من الآيات القرآنية التي تدعوا إلى معرفة الله والإيمان به سبحانه، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل، والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾.

* وقال سبحانه وتعالى في شأن الملائكة: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿غافر: ٧﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿الزمر: ٧٥﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ﴿الأعراف: ٢٠٦﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا
صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٣، ٢٤﴾.

* وفي شأن الكتب السماوية يقول تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿آل عمران: ١٨٤﴾.

وفي شأن التوراة يقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
التَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿المائدة: ٤٤﴾.

وفي شأن الإنجيل يقول عز وجل: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿المائدة: ٤٦﴾.

وفي شأن الزبور يقول جل وعلا: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿الإسراء: ٥٥﴾.

وفي شأن الصحف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿ صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وفي شأن القرآن الله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿
[آل عمران: ٢-٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَرْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ [فصلت: ٤١، ٤٢].

* أما في شأن رسل الله عليهم السلام فيقول سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿
[البقرة: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ ﴿ [النساء: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴿ [الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدَهُ ﴿ [الأنعام: ٩٠].

* أما في شأن اليوم الآخر وأحواله يقول جل ذكره: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿ [محمد: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال جل ذكره: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

* أما القضاء والقدر فيقول تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

ويقول سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال جل ثناءه: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

* * *

ثانياً: الكفر.

وكما دعا القرآن إلى تحقيق الإيمان، نهي كذلك عن الوقوع في الكفر وأسبابه، والكفر ضد الإيمان.

لأن الكفر معناه: عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك أو ريب أو إعراض أو حسد، أو كبر أو إتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة.

وإن كان المكذب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد والمكذب حسداً، مع استيقان صدق الرسل عليهم السلام.

✽ أنواع الكفر:

وهذا الكفر له نوعان:

النوع الأول: الكفر الأكبر وهو مخرج عن الملة، وهو خمسة أقسام:

١- كفر التكذيب: والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- كفر الإباء والإستكبار مع التصديق:

ودليله قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- كفر الشك:

وهو كفر الظن، ودليله قول الله سبحانه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

٤- كفر الإعراض:

ودليله قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

٥- كفر النفاق:

ودليله قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

* النوع الثاني: الكفر الأصغر وهو لا يخرج من الملة وهو الكفر العملي، ومن الذنوب التي وردت في الكتاب كفرة وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر مثل كفر النعمة كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

ومثله في القصاص قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص فقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]

ومثله قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾

[الحجرات: ٩].

هذه أمثلة لهذا النوع من الكفر وهو كما أشرنا لا يخرج من الملة ولكن يحمل صاحبه الذنوب والآثام.^(١)



(١) كتاب التوحيد د. صالح الفوزان.

ثالثاً: التوحيد:

الإيمان بالله عز وجل معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة:

من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل نقص.

والإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيداً في ثلاثة أمور:

١- في ربوبيته.

٢- وفي ألوهيته.

٣- وفي أسمائه وصفاته.

ومعنى توحيدِهِ في هذه الأمور: اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال وأسماء الجلال.

فلا يكون العبد مؤمناً بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره.

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله عز وجل وقد تضمن القرآن ذكر هذه الأنواع في كثير من آياته الكريمة، مع بيان حقائقها والدعوة إليها تحقيقاً لجانب الإيمان والتوحيد الذي بعث الله الرسل، وأنزل به الكتب.

✽ أهمية التوحيد:

وتتجلى لنا هنا أهمية التوحيد في العقيدة الإسلامية، وأنه أصل الشريعة

ولبها وعليه تقوم الأعمال، وبه تصلح أو تفسد وذلك فيما يلي:

١- التوحيد: ضد الشرك: وهو الركن الأساسي الذي يبني عليه الإسلام ويتمثل في الشهادتين.

٢- والتوحيد: دعوة جميع المرسلين إلى أمهم قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- والتوحيد: هو الذي خلق الله العالم لأجله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤- والتوحيد: يشمل توحيد الرب والإله والحكم والأسماء والصفات وجميع أنواع العبادات.

٥- والتوحيد: هو الذي تتوقف عليه سعادة الإنسان وشقاءه في الدارين.

٦- والتوحيد: هو الذي فتح به المسلمون البلاد، وأنقذوا العباد من عبادة الطغاة إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان المحرفة إلى عدل الإسلام المحفوظ.

٧- والتوحيد: هو الذي يدفع بالمسلم إلى الجهاد والتضحية والفداء.

٨- والتوحيد: هو الذي قامت المعارك من أجله، واستشهد المسلمون في سبيله ثم انتصروا بسببه، ولا يزال المسلمون يحاربون من أجله، ولا عز لهم ولا نصر إلا بتحقيقه، فكما أنه استطاع في الماضي أن يوحدهم ويقيم لهم دولة كبيرة، فهو الآن قادر بإذن الله أن يعيد لهم مجدهم ودولتهم إذا عادوا إليه^(١) كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

هذه بعض الأسباب الهامة التي تؤكد لنا وتبين لنا أهمية التوحيد في حياة

(١) العقيدة الإسلامية: محمد بن جميل زينو.

الأمة الإسلامية وضرورته.

• ذكر التوحيد وأنواعه في القرآن:

وقد دعا القرآن الكريم الخلق إلى إقامة التوحيد لله تعالى بكل أنواعه وصوره التي أشرنا إليها وهنا نشير إليها من آيات القرآن:

١- توحيد الربوبية:

وهذا النوع من التوحيد معناه: الإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون: بالخلق، والتدبير، والتغيير، والتسيير، والزيادة والنقص، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح، ولا تكاد سورة من سورته تخلو من ذكره أو الإشارة إليه، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى.

* وقد ذكره الله سبحانه في عدة مقامات في القرآن منها قول الله تعالى، في مقام الحمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الجاثية: ٣٦].

* وفي مقام التسليم أو الاستسلام لله يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

* وفي مقام التوجه وإخلاص القصد يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

* وفي مقام تولي الله عز وجل يقول تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [الأنعام: ١٤].

* وفي مقام الدعاء يقول جل ذكره: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ [الأعراف: ٥٤، ٥٥].

* وفي مقام العبادة يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [البقرة: ٢١].

* وقد أقر الكفار والمشركين بهذا النوع وسجل القرآن الكريم ذلك وبين عجزهم واعترافهم في غير آية منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مَنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿ [يونس: ٣١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿ [الزخرف: ٩].

وقوله جل ذكره: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿ [المؤمنون: ٨٧، ٨٦].

وقوله: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿ [الزخرف: ٩].

٢- توحيد الألوهية:

ومعناه: الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة.

وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء.

منها لغيره سبحانه، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره، فيخلص لله

المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع، وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى:

فيتضمن توحيد الله في ربوبيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس من أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، ومن أجله خلقت الخليفة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين»^(١).

فهو أساس دعوة الرسل عليهم السلام، وبه أنزلت الكتب السماوية، وعليه مدار جميع العبادات الشرعية وقد أبان القرآن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال سبحانه عن نبيه نوح وهود وشعيب وصالح وغيرهم عليهم السلام لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

* وفي المحبة لله نهى عن اتخاذ الأنداد له فيها فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

* وفي الدعاء يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

(١) الإيمان وأركانه محمد نعيم ياسين.

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿يونس: ١٠٦﴾.

* وفي التوكل يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

* وفي الرجاء يقول عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

* وفي الخوف يقول تعالى: ﴿فَأَيُّ فَرَاهِبُونَ﴾ [النحل: ٥١].

* وفي سائر العبادات كلها يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٣- توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه إجمالاً: الإعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصفٌ بجميع صفات الكمال، ومنزهٌ عن جميع صفات النقص، وأنه متفردٌ عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبتته الله سبحانه لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين.

وواضح من هذا التعريف أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس وهي:

١- تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق، وعن أي نقص.

٢- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

٣- قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات.

وذكر هذا النوع من التوحيد في القرآن الكريم، كثير جداً بل إنه لا تخلو سورة من سور القرآن، ولا صفحة من صفحاته من ذكر صفات الله وأسمائه، فتجده مرة يذكر بها في مختلف موضوعاته، من توحيد وعبادة، وتشريع، وفي مقام أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وقصصه وأمثاله^(١)، وقد جمع الله جملة هذه الصفات في القرآن في سورة الإخلاص وآية الكرسي وآخر سورة الحشر، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وفي التنزيه عن الشبيهة والنظير والكفاء والمثيل يقول عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويقول سبحانه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

رابعاً: الشرك:

(١) المصدر السابق.

أما الكلام على الشرك فستأتي الإشارة إليه في فصل الكبائر إن شاء الله تعالى، ولكن نشير إليه بشيء من الإيجاز فنقول:

«الشرك ضد التوحيد، كما أن الكفر ضد الإيمان، ومعناه: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وألوهيته».

والغالب الإشراف في الألوهية، بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة. والشرك أعظم الذنوب وقد عدّه النبي ﷺ أكبر الكبائر في غير حديث نبوي.

وقد ذكر القرآن الشرك وحرمة ونها عنه وسماه ظلمًا، وتوعد صاحبه بعدم المغفرة والخلود في النار، كما بين سبحانه أنه محبط للأعمال:

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وينقسم الشرك إلى نوعين أكبر وأصغر، أما الأكبر فقد قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ

أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[يونس: ١٨].

أما الأصغر وهو الرياء فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] (*).

(* ملاحظة: «لم نتعرض لذكر لشيء من النصوص الواردة في شأن موضوعات هذا الكتاب من السنة النبوية لأن كتب السنة والله الحمد غنية بذلك، ولكنني أردت في هذا الكتاب أن نقف وقفة هادية صادقة مع القرآن الكريم الذي جمع أصل السنة وأساسها، ولعلنا إن وفقنا بإذن الله تعالى قريباً نفرّد مصنفاً لبيان الجوانب الدعوة الهادية في السنة النبوية إن شاء الله تعالى، والله المستعان».

الفصل الثالث

الدعوة إلى إقامة العبادة
والإخلاص فيها.

الدعوة إلى إقامة العبادة
والإخلاص فيها.



ومن مجالات الدعوة في القرآن الكريم: دعوته إلى إقامة العبادة لله تعالى وحده لا شريك، من الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والتوبة والاستغفار وتلاوة القرآن والإحسان إلى الناس، والجهد في سبيل الله، وغير ذلك من مجالات العبادة التي ورد بها الشرع المطهر، وبينها القرآن المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة» أ هـ.

وهي منقسمة على القلب واللسان والجوارح، فالخوف والرجاء والمحبة، والتوكل والرغبة والرغبة: عبادة قلبية، والتسبيح والتهليل والتكبير والحمد والشكر باللسان والقلب؛ عبادة لسانية قلبية. والصلاة والزكاة والحج والجهاد: عبادة بدنية قلبية، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تجري على القلب واللسان والجوارح وهي كثيرة والعبادة: هي الغاية الكبرى التي خلق الله الخلق من أجلها.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فأخبر سبحانه أن الحكمة من خلق الجن والإنس: هي قيامهم بعبادة الله، والله غني عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها لفقرهم إلى الله تعالى، فيعبدونه على وفق شريعته، فمن أبي أن يعبد الله فهو مستكبر، ومن عبده وعبد معه غيره فهو مشرك، ومن عبده وحده بغير ما شرع فهو مبتدع، ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد.

﴿ والعبادة توقيفية: بمعنى أنه لا يشرع منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يعد بدعة مردودة، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردود عليه عمله، لا يقبل منه بل يآثم عليه، لأنه معصية وليس طاعة، ثم إن المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو الإعتدال بين التساهل والتكاسل، وبين التشدد والغلو، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

فهذه الآية الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات. (١)

-ومبنى العبادة في الشريعة الإسلامية يقوم على قاعدتين هامتين:

الأولى: ألا يعبد إلا الله وحده.

الثانية: ألا يعبد إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ.

﴿ صور العبادة في القرآن:

وهنا نشير إلى بعض العبادات التي حث عليها القرآن الكريم ودعا المؤمنين إلى إقامتها والتقرب بها إلى الله تعالى فمن هذه العبادات:

١- الصلاة:

ورد فيها قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۗ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٣، ١٤].

(١) العقيدة الإسلامية، أحمد آل سبالك.

وقوله تعالى: ﴿اِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

[البقرة: ٢٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

٢- الزكاة:

وفيها ورد قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقوله جل وعلا: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٥٥]،

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والآيات

في الزكاة كثيرة.

٣- الصيام:

وورد في هذه العبادة قوله الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٤- الحج:

ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فيه

آيَاتُ بَيِّنَاتٍ مِّمَّا إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ [آل عمران: ٩٧، ٩٦].

٥- الذكر:

وهو أيضاً من جملة العبادات المأمور بها وفيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله جل علا: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في شأن الذكر وفضله وشأن الذاكرين.

٦- الجهاد في سبيل الله:

ورد ذكر الجهاد وفضله والدعوة إليه والحث على مقاتلة الكفار في آيات قرآنية كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقول تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ [النساء: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرَّضُونَ﴾

[الصف: ٤].

وقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وكتاب الله تعالى مملوء بآيات الجهاد والدعوة القرآنية إليه.

٧- الدعاء:

ومن العبادات التي دعا إليها القرآن أيضاً عبادة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والإنكسار بين يديه بذل الإفتقار إليه سبحانه، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[البقرة: ١٨٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]. إلى غير ذلك من

الآيات القرآنية في مقام الدعاء.

إِفْصِيحُ الْإِسْرَافِ

الدعوة إلى طلب العلم
النافع بكل مجالاته.

الدعوة إلى طلب العلم النافع
بكل مجالاته.



ومن مجالات الدعوة في القرآن: دعوته الصادقة إلى طلب العلم النافع في علوم الدين والدنيا معاً، بكل مجالاته وفروعه.

✽ أسباب تحصيل العلم:

ولا يخفي علينا شأن العلم والعلماء في دين الإسلام وعلو قدره ومكانته، فإن القرآن الكريم، والسنة النبوية بينا منزلة العلم الرفيعة، ومقامه العالي، كما دعا القرآن والسنة إلى الأخذ به، والحث عليه، ومعرفة أسباب تحصيل العلم وجمعه والتي تتمثل في ثلاثة أسباب وهي:

١- القراءة.

٢- النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض.

٣- السير في الأرض^(١).

فهذه هي التي تمد الإنسان بالكثير من العلم الصحيح والمعرفة النافعة.

أما القراءة:

فقد أشاد القرآن بها وأعلى من قدرها وذلك في أول آياته المنزلة على رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

وقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

(١) عناصر القوة في الإسلام: السيد سابق.

وأما النظر والتفكير:

فالآيات فيه كثيرة منها:

قول الله سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وأما السير والسياسة في الأرض:

فقد أرشد الله إليها بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠]. وغير ذلك من الآيات الداعية إلى القراءة والتفكير والسير والتي بها تحصيل العلم الهادي.

* ضرورة العلم في الحياة:

ومن هنا تبرز لنا أهمية الدعوة القرآنية إلى العلم وأسباب تحصيله وما ذلك كله إلا لأن العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليه حياة الأمة، بمجموعها وآحادها، فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها، بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلت حال الأمة إلى الفساد، ولحادت عن الطريق الذي أراده لها الشارع.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: « والحفظ لها- أي للمصالح الضرورية- يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها، ويثبت قواعدها، وذلك بمراعاتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم^(١).

والعلم بلا ريب يسلك في هذه المصالح الضرورية التي تجب مراعاتها من الجانبين المذكورين، وذلك للأسباب التالية:

١- لأن حاجتنا إليه لا تقل عن حاجتنا إلى المأكل والمشرب والملبس والدواء إذ به قوام الدين والدنيا.

٢- لأن المستعمرين، بل المحتلين الحاقدين، إنما احتلوا بلاد المسلمين لأسباب كثيرة، بيد أن من أهمها جهل المسلمين.

٣- انتشار المذاهب الهدامة، والنحل الباطلة، وما حدث ذلك إلا لأنها وجدت قلوباً خالية فتمكنت منها كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فإن القلوب التي لا تتحصن بالعلم الشرعي، تكون عرضة للانخداع

(١) الموافقات للشاطبي.

بالضلالات، والوقوع في الانحرافات.

٤- وإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،^(١) وهذه قاعدة شرعية معلومة وواضحة.

• والعلم الذي يطلبه الإسلام هو:

الوحي: كتاباً وسنة، عقيدةً وشريعة.

والعلوم المستمدة من الوحي هي: التفسير، والسنة، والتوحيد، والفقه، والتاريخ الإسلامي، والنظام الإسلامي.

وما وراء ذلك من علوم الكون فهو مما يدعوا إليه الإسلام، ويحث عليه لتعرف سنن الله في الكون، وأسراره في الخلق، وحكمته في الوجود.

ودراسة العلوم الكونية والإنسانية لا تقل في أهميتها عن دراسة العلوم الشرعية، وهي علوم الطبيعة، والكيمياء، والفلك، والأحياء والنبات، والنفس والاجتماع، والتاريخ العام^(٢)

* وقد تبني القرآن الكريم الدعوة إلى مثل هذه العلوم في محكم آياته، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ رزقاً للعباد وأحيينا به بلدةً ميثاً كذلك الخروج ﴿ق: ٦-١١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ

(١) العلم ضرورة شرعية: ناصر العمر.

(٢) عناصر القوة في الإسلام. السيد سابق.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

والمقصود بالعلماء في هذه الآية علماء الكون والماء والنبات والجبال والناس والدواب والحيوانات لا العلماء بالصلاة والصيام والزكاة والحج.

وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤، ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

[الذاريات: ٢٠، ٢١].

وقال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٥٢﴾﴾ [الطارق: ٥-٧].

كل هذه الآيات الكريمة وغيرها تتحدث عن العلوم الكونية والإنسانية

والتي دعا إليها القرآن الكريم وأكد الدعوة على طلبها.

* أما الآيات التي تدعوا إلى العلم النافع عموماً وإطلاقاً و الحث على فضله وطلبه، سواء أكان هذا العلم في أمور الدين أو الدنيا فهي كثيرة كذلك فمنها:
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [حمد: ١٩].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

الفصل الخامس

الدعوة إلى مكارم الأخلاق
والنهي عن سفاسفها.

الدعوة إلى مكارم الأخلاق
والنهي عن سفاسفها.



ومن مجالات الدعوة القرآنية أيضاً: دعوته إلى مكارم الأخلاق ومعاليتها، ووجوب التحلي بها، ونعيه على المخالفين للفضائل وأصولها، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزان شرعي يهذب الإنسان، ويرقي به إلى مدارج الإنسانية الفاضلة.

* معنى الأخلاق وضرورتها:

ويمكننا تعريف الأخلاق: بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه.

ولهذا كان المنهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس تزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على إصلاح النفوس، وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادةٍ وشقاءٍ ويسرٍ وعسرٍ، ورخاءٍ وضيقٍ، وطمأنينةٍ وقلقٍ، وعزٍ وذلٍ كل ذلك ونحوه تبع لتغير ما بأنفسهم من معانٍ وصفات. ^(١)

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

* إن من أجل الغايات التي تريد الرسالة الإسلامية - تحقيقها هي تلك الغاية الإنسانية السامية وهي:

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.

أن يكون للإنسان خُلُقٌ كريم، وسلوكٌ نظيف يليق بكرامة الإنسان، ويتفقد مع ما خلق له من خلافة عن الله في الأرض، وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون عبر قرون مضت، ولم يبلغوا فيها شأواً، أو يصلوا إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

* إن عناية الإسلام وحرصه على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة يقصد بها: إيجاد عناصر قوية، وأفراد صالحين، كي يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم، وعقولهم في ترقية الحياة وإعلامها، وليكونوا أهلاً لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

إن المثل الأعلى للأفراد: هو الشرف والنزاهة، والاستعلاء على الهوى والشهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمسك بأهداف الفضيلة، والاندماج في جوٍ روحي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح والمثل العلى للجماعة: هو التعاون، والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات

والمحبة والمودة، والصدق والإخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح، وسلامة الصدر.

وتحقيق المثل الأعلى في جانبه يثمر الحياة الطيبة، ويحقق المجد، والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض.^(١)

وهذا كله من آثار الإستجابة الكاملة للدعوة القرآنية الهادية التي تأخذ بالأفراد والجماعات إلى المثالية الفاضلة في الإسلام. وفي ذلك حديث النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [رواه أحمد والحاكم]

وقد اكتسب النبي ﷺ أخلاقه ومكارمها من الدعوة القرآنية إليها، وإلى

(١) عناصر القوة في الإسلام. السيد سابق.

التخلق بها حتى كان خلقه القرآن، وحتى مدحه ربه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

* * *

* المنهج الأخلاقي في القرآن:

لقد كثرت الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمراً بالخير ومنها، ومدحاً للمتصفين بها، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الردى منها، وذم المتصفين بها، ومع الذم العقاب، وكذا السنة النبوية ولكنها ليست محور حديثنا كما أشرت من قبل، إنما محور الكلام كله مع القرآن وآياته. وإليك هذه الجملة الطيبة من الأمثلة الأخلاقية في القرآن والدعوة إلى حسناتها، وذم قبيحها:

١- الوفاء بالعهد:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

٢- النهي عن القول بغير علم:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ

لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

٣- النهي عن مشية التبخر والتمايل كما يفعل المتكبرون:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ

طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

٤- النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير:

قال تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].
وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٥- الأمر بالعدل في جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى الكفار:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].
وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].
وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتَ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

٦- التعاون على البر والتقوى وما ينفع الناس، والنهي عن التعاون على البغي والعدوان:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

٧- الظلم ظلمات يوم القيامة وعاقبته وخيمة ومن أجل هذا نهى الإسلام عنه:

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٨- الصدق من علامات الإيمان وثمراته ولهذا أمر الإسلام به:

قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ

لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

٩- والكذب رذيلة لا ينال صاحبها هداية الله، ويثمر النفاق في القلب ولهذا

نهى الإسلام عنه وحذر منه:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِهِمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ

وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

١٠- إعلاء مقام الصبر عند المصيبة والرضا بالقضاء والقدر:

قال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ • الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾

[الفرقان: ٧٥].

١١- وجماع الأخلاق والفضائل في الدعوة القرآنية إليها يأتي في جملة آيات

منها:

قوله تعالى في وصف المجتمع الإسلامي بالآداب الفاضلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١١١﴾

[الحجرات: ١١، ١٢].

ومنها أيضاً في وصف المؤمنين الكاملين قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَن ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

[المؤمنون: ١-١١].

ومنها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

ومنها قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

ومنها كذلك وجماعها في وصف عباد الرحمن وبيان صفاتهم وأخلاقهم قوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١٢﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿١٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٤﴾ [الفرقان: ٦٣، ٧٦].

هذه بعض الآيات القرآنية العظيمة الهادية والداعية إلى التخلق بكل خلق نبيل، وأدب كامل؛ والقرآن مملوء بعشرات الآيات في هذا الجانب الأخلاقي لمن تتبع واستقرأ ذلك بدقة.



إِفْطِحْ لِي سَابِغِينَ

الدعوة إلى
نبذ الكبائر والمحرمات

الدعوة إلى نبذ الكبائر والمحرمات.



ومن مجالات الدعوة القرآنية أيضاً: دعوته إلى ترك المحرمات والكبائر والنهي عن الوقوع في الإثم والمعصية، وعن الإنغماس في شهوات النفس وملذاتها، والبعد عن كل ما يؤدي إلى سبيلها. إن جوهر الدين يتمثل في مظهرين: أداء الفرائض واجتناب النواهي، بل إن اتقاء المحارم أجلي مظهر للعبادة، وأقرب طريق إلى صدق الإيمان كما قال الرسول ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس».

ومن هنا يحاذر المسلم أن يسخط ربه، أو يتعدى حدوده أو ينتهك حرماته فيجانب المحرمات، ويجعل بينه وبينها سداً منيعاً من الخشية والتقوى.

وهو إن فعل ذلك بإيمانه وتقواه واستقامته وهداه، فإن حقائق الحياة تثبت صدق نظرتة وسلامة اتجاهه.

فإن المحرمات تمثل الخطر الذي يهدد الإنسانية ويجلب عليها الدمار هكذا أثبتت حقائق العلم والحياة، ولهذا حرمها الله، وتوعد المخالفين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

* خطر يجب تداركه:

- إن الإنسانية توشك على الانزلاق في مهاوي الهلاك والهبوط إلى درجات الحيوانية وهي تسير وراء المفسدين الذين يتملقون الغرائز ويسترضون الشهوات.

إن التحرج من المحرمات شارة من شارات النبل والارتفاع، ودليل يقظة الفكر وكمال العقل، والذي لا يتحرج مما حرم الله عليه يسهل عليه الإنفلات من كل قيد، والهروب من كل تبعة، والخيانة من كل عهد.^(١) وهذا الإنحراف

(١) شخصية المسلم للدكتور مصطفى عبد الواحد.

يهبط بالمستوى الإنساني ويحول بينه وبين التطهر والتسامي فتسقط قيمته، ويرذل قدره، وينحط إلى الدرك الذي يعوقه عن النهوض بتبعات الحق والخير.

وحين يصل المرء إلى هذا المستوى، لا تكون له رسالة سامية، ولا هدف كريم، ولا مثل أعلى، وإنما تتجه جميع قواه إلى تحقيق ذاتيته، وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه الخاصة وتكرهه للمصالح العامة.

ويوم أن تخلو الدنيا من الضمائر والمثل العليا، تتحول الحياة إلى صراع يكون أشد هولاً وأبعد أثراً من صراع الحيوانات المفترسة^(١)

✽ إن علة التحريم في كل ما حظره الإسلام جلية واضحة تستهدف خير الإنسان وترعى نفع الإنسانية، وليس ذلك سلباً لحرية الإنسان ولا إغنائاً له، بل إن هذا سبيل لتحرر الإنسان ذاته من عبودية الشهوات والملذات البغيضة، وكل مجالات الحياة فيها مباحات وفيها محظورات، يمنع الفرد منها رعاية لصالح الجماعة في السياسة والإقتصاد، وفي الحرب وفي كل مجالات المعاملات والارتباط.

إن الإنسانية لا يمكن أن تتقدم بغير هذا السلوك، فالفوضى والإباحية لا تتفق مع حضارة ولا تقدم، ولا تصلح بها حياة ولا يطمئن في ظلها إنسان.

✽ دعوة القرآن إلى نبذ المحرمات والكبائر:

إن تحريم القرآن لكل ما يهدم الإنسانية ويدمر الحضارات ودعوته إلى ترك ذلك ونبذه والإعراض عن الطرق الموصلة إليه هو غرض نبيل، وهدف كريم يسعى القرآن في دعوته إلى الوصول إليه وإلى جعله منهج حياة واقعي يحفظ به

(١) اسلامنا للسيد سابق

المجتمعات والأفراد من مهاوي الشرور والمعاصي والتلطيخ بآثامها وأوزارها من الشرك بالله تعالى والإلحاد والانتماء إلى المذاهب الإلحادية بجملتها، والكفر بكل صوره، وعقوق الآباء والأمهات وامتهان حقوقهما، والظلم بكل صوره أيضاً، والسحر الذي هو باب كبير في إيذاء العباد، وكذا أنواع أخرى كترك الجمع والجماعات والعري والتبرج والسفور، وتحكيم غير شرع الله تعالى، والتولي من أرض الحرب يوم الزحف، وغش المسلمين وتطفيف الموازين، وأكل أموال الناس بالباطل وبالربا والظلم والسرقه والرشوة، والحيل والمكر التي يتوصل بها إلى الفواحش والمنكرات، وشرب الخمر وإهدار الأموال في غير طريقها الشرعي. وغير ذلك كثير ومشهور في كتب أهل العلم التي أبانت عن خطر الكبائر والذنوب على البشرية في كل مجالات الحياة وضروبها.

* * *

* تعريف الكبائر:

ولعظم الكبائر والمحرمات عند الله تعالى فقد توعد الله مرتكبي الكبائر والمحرمات المنغمسين في محيطها بالعذاب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولتقف هنا مع تعريف الكبائر وبيان أنواعها وصورها:

* تعريف الكبيرة:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكبيرة، وتمييزها عن الصغيرة، ولكن كثيراً منهم يرجح أن الكبيرة: هي كل معصية يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري رحمه الله تعالى.

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «إن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف أو حذار وندم كالمتهاون فهو كبيرة، وما يحمل على فلتات

اللسان والنفس، وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة. (١)»

وقال الذهبي رحمه الله: «والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل و الزنا والسرقه وجاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أولعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة، [زاد شيخ الإسلام]: أورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوهما».

ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ألا ترى أنه ﷺ، عد الشرك بالله من الكبائر، مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبداً. (٢)

وقول الذهبي هذا متوافق مع القول الأول وهذا هو الصواب في هذه المسألة، وقد رجح هذا القول شارح العقيدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله بعد أن ساق وجوه ترجيحه فقال: وترجيح هذا القول من وجوه: أحدها: أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عينية وابن حنبل رضي الله عنهم وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر. (٣)

• ذكر القرآن للكبائر وأنواعها:

لقد دعا القرآن في كثير من آياته المحكمات المؤمنين إلى ترك الكبائر والبعد

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) الكبائر. للذهبي،

(٣) شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي.

عن أسبابها والطرق الموصلة إليها ونبذها، والإعراض عنها، وتنزيه النفس عن الوقوع فيها واقترافها، وإليك بعضاً من هذه الكبائر والمحرمات التي جاء بها القرآن نهياً وزجراً:

١- كبيرة الشرك بالله:

الشرك هو أكبر الكبائر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* أما أنواعه:

فشرك الدعوة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله عز وجل: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وأما شرك المحبة، فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وأما شرك الطاعة، فقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿التوبة: ٣١﴾.

أما شرك النية وإرادة القصد، ففي قول الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [هود: ١٦، ١٥].

وأما الذبح لغير الله، ففي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وأما النذر فهو كالذبح لا يصح فعله لغير الله تعالى لأنه من العبادة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وأما الاستعاذة فلا تكون بأحد سوى الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [نصفت: ٣٦].

وأما الرياء وهو الشرك الأصغر، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد أطلنا النفس في الشرك لبيان خطورته وعظم شره وضرره.

٢- قتل النفس:

قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٩٠، ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

٣- ترك الصلاة:

قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠، ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾﴾ [الماعون: ٥، ٤].

وقال عز وجل: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٨].

٤- منع الزكاة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُمْ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُمْ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾﴾ [فصلت: ٧، ٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿التوبة: ٣٤، ٣٥﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنِ اتَّانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقَبَهُمُ نِقَافًا فِي
قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿التوبة: ٧٥-٧٧﴾.

٥- عقوق الوالدين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
يَبُلُغْنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُبِيهِ أَفٌ لَّكُمَا أَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ
مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قِيْلُ مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿الأحقاف: ١٧، ١٨﴾.

٦- هجر الأقارب وقطع الأرحام:

قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴿١﴾ [النساء: ١].

وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ
﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ [الرعد: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ * الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ [البقرة: ٢٦، ٢٧].

٧- الزنا وارتكاب الفواحش:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقوله سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهَذَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

٨- الربا:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

٩- أكل مال اليتيم وظلمه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

١٠- الكذب على الله ورسوله:

قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾

[الزمر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[آل عمران: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

١١- غش الإمام الرعية وظلمه لهم:

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۚ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾

[إبراهيم: ٤٣، ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

١٢- الكبر:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

الْحِسَابِ ﴿ غافر: ٢٧.]

وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

[غافر: ٦٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

١٣- شهادة الزور:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

[الفرقان: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

١٤- شرب الخمر والقمار:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ

عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ

مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩٠، ٩١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

١٥- قذف المحصنات:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

١٦- السرقة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

١٧- اليمين الغموس:

قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧].

١٨- القاضي السوء:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

١٩- الرياء:

قال الله عز وجل: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١﴾﴾ الَّذِينَ هُمْ

يُرَاءُونَ ﴿ وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٢٠- إيذاء المسلمين:

ويدخل في ذلك الإيذاء لهم بالقول أو بالفعل أو ما شابه ذلك؛ قال تعالى:
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾
[الأحزاب: ٥٨].

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
[الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].



الفصل السابع

الدعوة إلى
العمل الصالح

الدعوة إلى العمل الصالح



وحث القرآن الكريم في منهاج دعوته على العمل الصالح المقرون بالإيمان بالله تعالى والخالص لوجهه الكريم سبحانه، لأن العمل الصالح هو العمل المرضي عند الله تعالى، وهو الجامع لشيئين:

الأول: أن يكون وفق الشرع الإسلامي.

الثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله وطاعته. فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مرضياً عند الله وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والمقصود بالعمل الصالح الصحيح أي الموافق للشرع الإسلامي، والخالص لوجه الله تعالى. (١)

* دعوة القرآن إلى العمل الصالح وبيان مكانته:

ولم يلبث القرآن في مجمل دعواته الراشدة الهادية أن دعا إلى العمل الصالح في كثير من آياته الكريمة وذلك: لأنه ثمرة الإيمان بالله وباليوم الآخر ورسوله محمد ﷺ.

وبه يظهر معنى الشهادتين بالعمل والسلوك ولأهميته في الإسلام جاءت الآيات الكثيرة به، فمرة تقرنه بالإيمان، ومرة تبين جزاءه الحسن، وأخرى تصرح بأن ما ينفع الإنسان في آخرته هو الأعمال الصالحة، وأن الله تعالى لا يضيع أجر من

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.

عملها وقام بها، وتارة تبين الآيات أن الصالحات سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب، وأن الخسارة تلحق الإنسان لا محاله إلا من آمن وعمل الصالحات.

وهذا كله يبين لنا بالاستقراء للآيات القرآنية مدى اهتمام القرآن وعنايته بالعمل الصالح والدلالة عليه وعلى طرقه ووسائله وإليك النصوص الدالة على هذه المعاني والموضحة لها:

قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ﴾

[الرعد: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ

نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ

مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾
[مريم: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَشْرِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ وَهَدُّوا إِلَى
الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

وقوله الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩].

وقوله سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ﴾ [سبأ: ٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

وقوله سبحانه وتعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي
خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
[العصر: ١-٣].

✽ تنوع الأعمال الصالحة:

والأعمال الصالحة كثيرة فهي جميع ما أمر الله تعالى به على وجه الوجوب والإستحباب من العبادات والمعاملات، فإذا قام بها المسلم ملاحظاً الطاعة لربه والإنقياد لشرعه مبتغياً بها وجه الله فهو من أصحاب الأعمال الصالحة، وفي مقدمة هذه الأعمال الصالحة العبادات التي جاءت في حديث جبريل وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج فهي أركان الإسلام التي لا يجوز التهاون بها مطلقاً أو التقليل من أهميتها.

وقد رأينا بعض أثر العبادات في دعوة القرآن السابقة إلى إقامة العبادات بثتى صورها وأنواعها.

لأن للعبادات المختلفة تأثيرٌ واضحٌ في سلوك الفرد فهي التي تزكى نفسه، وتزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن والخوف منه فينجز عن المعاصي والإضرار بالناس ويسارع إلى عمل الخير، ولا شك أن المجتمع سيكون سعيداً إذا زاد فيه عدد الصالحين والخائفين من الله تعالى، وأن كمية الخير ستكثر، وإن مقادير الشر والسوء ستقل. ^(١)

✽ وينبغي أن يراعى المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

١- المسارعة إليها:

كما في قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.

أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿[الحديد: ٢١].

وكما في قوله تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

وقوله سبحانه عن زكريا عليه السلام وأهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٢- الاستمرار عليها مع الاجتهاد فيها:

كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وكما في اجتهاد أولياء الله تعالى: في عبادتهم وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٥].

وفي قوله سبحانه: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧-١٩].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

٣- رجاء القبول مع الخوف من عدم القبول:

كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].



الفصل الثامن

الدعوة إلى
تحقيق مقامات العبودية

الدعوة إلى تحقيق مقامات العبودية



ومن مجالات الدعوة القرآنية أيضاً وصورها: دعوة القرآن الكريم إلى تحقيق مقامات العبودية، والإرتقاء بالنفس حتى تحقق غاية وجودها، وقد أشرنا في المجال القرآني للدعوة إلى إقامة العبادة، ما يغني هنا عن مزيد من الإعادة، ولكن الحديث هنا يرتقي قليلاً، للحديث عن مقامات العبودية والتي نبه عليها كثير من أهل العلم والقلوب، وصنفوا فيها مصنفاتٍ عديدةٍ من أعظمها قدرًا ومنزلةً مصنفات الإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، فقد أفاض في ذكر مقامات العبودية في مصنف كبير ألا وهو مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وله أيضاً، «الداء والدواء»، و«روضه المحبين»، و «طريق المهجرتين» وغيرها كثير.

وقد أفردت هنا الحديث عن مقامات العبودية والطريق إلى تحقيقها لكون المقامات طريق عظيم لتكميل ذاتية العبودية نفسها، والتي لم تكمل لأحد من البشر سوى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ولكن سعى الإنسان إلى تحقيقها أمر مطلوب شرعاً ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

✽ ذكر القرآن لمقامات العبودية:

والعبودية لله تعالى هي غاية الوجود الإنساني في الحياة الدنيا، وقد تعرض القرآن الكريم لها وبين ما اشتملت عليه من المقامات العالية، وأشار القرآن إليها في كثير من آياته، ودعا إليها، وحث عليها، ومدح أهلها القائمين بها وبحقوقها، وأثنى بها على أنبيائه ورسله عليهم السلام، ووعدهم بالأمن يوم القيامة من

الفرع والأهوال، وبالفرز بجنات النعيم في دار الخلود الأبدى، ومن ثم أمر بها عباده الصالحين، بدءاً من الأنبياء والمرسلين، وشرعها لهم ولأتباعهم من بعدهم، وأمرهم بالإخلاص فيها، وجعل دعوتهم جميعاً إليها:

وهذه النصوص القرآنية توضح كل ما أشرنا إليها إيضاحاً تاماً شافياً: كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وبهذه العبادة أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم عليهم السلام لقومهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال أيضاً لرسوله ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] واليقين هنا هو: الموت.

كما وصف سبحانه ملائكته وأنبياءه بالعبودية فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [يسبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠، ١٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن وتحقيقهم للعبودية: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا] ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا سُومًا وَعُمِيَانًا﴾ [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا] ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا] ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٧].

وقال عز وجل: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ] [الحجر: ٤١، ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي أشارت إلى هذا المقام العظيم.

* وأما صور مقامات العبودية في القرآن فنشير إلى أمثلتها فيما يلي:

١- مقام الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ١١، ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤].

٢- مقام الصدق:

قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[التوبة: ١١٩].

وقال عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤].

٣- مقام التوبة والإنابة:

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

[النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

أما الإنابة فقال فيها ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ﴿٥٤﴾﴾

[الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٨].

٤- مقام الاعتصام بالكتاب والسنة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

٥- مقام الفرار:

كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

٦- مقام السمع والطاعة:

كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾ [المائدة: ١٠٨].

قال تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ

وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: ٤٦].

٧- مقام الإخبات:

كما قال فيه عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥، ٣٥].

وقال عز وجل أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

٨- مقام الزهد في الدنيا ومتاعها:

كما قال سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤].

٩- مقام الورع:

كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَتِيَابِكُمْ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

١٠- مقام الرجاء والخوف:

كما قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الاسراء: ٥٧].

١١- مقام المراقبة:

كما قال عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

١٢- مقام تعظيم حرمان الله:

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

١٣- مقام الإستقامة:

كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وذكر مقامات العبودية أمر يطول بالاستقراء لها في القرآن الكريم وما

ذكرناه مثال عليها وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى.



الفصل التاسع

الدعوة إلى
الإصلاح الاجتماعي

الدعوة إلى إصلاح المجتمع
إصلاحاً شاملاً



ومن مجالات الدعوة القرآنية كذلك وأصولها الجامعة: دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع كله إصلاحاً شاملاً وكاملاً يحفظ كيانه وأفراده من الانحراف أو الإفساد في الأرض، وإهدار حقوق الخلق في سبيل المصالح الشخصية، والأهواء الذاتية الفردية.

بل وقد عرض القرآن بأسلوبه البلاغي، ونداءه الخطابى، وإعجازه التشريعي كل المجالات الهادية، والأصول الجامعة الواقية، والتي من شأنها النهوض بالمجتمع وأفراده إلى المدنية الفاضلة، والعدالة الشاملة.

لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده في هذه الحياة دون الاحتكاك بغيره والاتصال به، فكان ولا بد من إيجاد القواعد والتشريعات التي تحفظ هذا المجتمع وتقومه، وتصلحه وتهذبه.

ومن هنا نعلم قيمة هذه الحقيقة الثابتة، والتي أشار إليها العلامة ابن خلدون في مقدمته: أن الاجتماع الإنساني ضروري، وهو ما يعبر عنه بقول بعضهم: الإنسان مدني بالطبع، ومعنى ذلك أن المجتمع ضروري للإنسان، وهو ما يؤيده الواقع، فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت فيه.

إذاً فإن المجتمع ضروري للإنسان ولا بد من وجوده، فإن النظام - على أي نحو كان - ضروري للمجتمع لا يتصور وجوده بدونه لأن الأفراد لا يمكنهم العيش مجرية مطلقة داخل المجتمع وإلا كان في ذلك هلاكهم أو اضطراب حياتهم وانقلاب مجتمعهم إلى مجتمع حيوانات كالذي نشاهد في الغابات.

ولهذا كان لا بد من نظام للمجتمع يتضمن الحدود التي يجب أن يقف عندها الجميع والضوابط العامة التي يجب أن يلتزموا بها في سلوكهم حتى يستطيعوا العيش بأمان واستقرار.

إذا كان لكل مجتمع نظام على نحو ما فإن هذا النظام لا بد له من أساس وأصول وأفكار يرتضيها المجتمع ويقوم عليها نظامه الذي يسير بموجبه، والنظام يكون صالحاً أو فاسداً تبعاً لصالح أو فساد أساسه وأصوله وأفكاره التي يقوم عليها لأن الفرع يتبع الأصل في الصلاح والفساد.

وإذا كان نظام المجتمع صالحاً أو فاسداً، فإن صلاحه وفساده ينعكس على أفرادهم ويتأثرون به ويتحملون تبعاته فيسعدون به أو يشقون، وعلى هذا يجب على من يريد الخير لنفسه وللمجتمع أن يبحث ويتحرى عن الأساس الصالح الذي يجب أن يقوم عليه نظام المجتمع، ويسعى لتثبيت هذا الأساس وإقامة نظام المجتمع عليه وبهذا تيسر للأفراد سبل الخير والسعادة ويتحقق أكبر قدر ممكن من الحياة الطيبة المستقرة الهادئة لأفرادهم.

والواقع أن الإسلام كفانا مؤونة البحث والتحري عن هذا الأساس الذي يقوم عليه النظام الصالح والمجتمع كما كفانا مؤونة البحث عن طبيعة هذا النظام الصالح وخصائصه مما يجعل الأمر سهلاً ميسوراً لبناء المجتمع الصالح الذي يسعد به الناس جميعاً.^(١)

وقد فصلت أصول الإسلام من القرآن والسنة كل ذلك تفصيلاً واضحاً، وليس حديثي هنا عن السنة فإن لذلك مظانه في كتبها، أما القرآن الكريم فقد بين وأوضح المنهاج القويم وخطته الرائعة الشاملة لإصلاح المجتمع.

(١) أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان.

✽ منهاج القرآن في الإصلاح الاجتماعي:

ولنقف الآن وقفة متأنية مع الجانب الاجتماعي والذي أولاه القرآن الكريم الجزء الكبير من تشريعاته الإصلاحية في الحياة الإنسانية في القديم والحديث.

فمنذ ألف وأربعمائة عام وتزيد قليلاً نادي محمد بن عبد الله النبي الأمي ﷺ في بطن مكة وعلى رأس الصفا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكانت تلك الدعوة الجامعة حدًا فاصلاً في الكون كله، بين ماضٍ مظلمٍ ومستقبلٍ باهرٍ مشرقٍ، وحاضرٍ زاخرٍ سعيدٍ، وإعلانًا واضحًا مبينًا لنظامٍ جديدٍ شارعه الله العليم الخبير، ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة.

والقرآن الكريم هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعي الشامل وقد أخذ ينتزل على النبي ﷺ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۗ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

حتى اكتمل به الوحي وحفظ في الصدور والسطور في مدى اثنتين وعشرين سنة ونيفاً، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شيء وبين أصول: الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به، والتي تكاد تنحصر في هذه الأصول:

١- الربانية.

٢- التسامي بالنفس الإنسانية.

٣- تقرير عقيدة الجزاء.

- ٤- إعلان الأخوة بين الناس.
- ٥- النهوض بالرجل والمرأة جميعاً، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً.
- ٦- تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن وتحديد موارد الدخل والكسب لكل فرد.
- ٧- ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.
- ٨- الشدة في محاربة الجرائم الأصلية.
- ٩- تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها.
- ١٠- إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادئ الحق التي جاء بها هذا النظام. وقد خالف القرآن ذلك في نظامه هذا غيره من النظم والوضعية والفلسفات النظرية، وعلى قواعد هذا النظام القرآني الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى، تؤمن به إيماناً عميقاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً وتنشره في العالمين. حتى كان الخليفة الأول رضي الله عنه يقول: «لوضع مني عقاب بعير لوجدته في كتاب الله».

لقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها، وصارعت المسيحية حتى انحصرت ظلها^(١)، لأنها جاءت بالمبادئ الكافية، والمثالية الفاضلة، والتشريعات الكاملة فكانت أولى بالاتباع والعمل في نظام حياتها الجديد.

• أمثلة الإصلاح الاجتماعي في القرآن:

وهذه بعض الأمثلة القرآنية الرائعة، والتي تمثل المثل الأعلى للمجتمعات

(١) رسائل الإمام حسن البنا.

الإنسانية لكون القرآن المنزل من عند الله تعالى هو المنهاج الأعظم المشرع لها، والجامع لأصولها، ولأن العقيدة الإسلامية هي النظام الأوحى الذي يربط هذا المجتمع ببعده ببعض ويحض الجميع على الأخذ بمبادئ الإسلام، ودستور القرآن الكريم، ومن هذه التشريعات والأصول والأسس ما يلي:

١- إصلاح الرجل والمرأة معاً:

عرض القرآن الكريم في ثنايا آياته الكريمة إلى عدة أصول وقواعد يتم بها صيانة الأعراض والأنساب في المجتمع وذلك من خلال جملة من التشريعات للرجل والمرأة أيضاً فمن ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالى للرجال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقال في حق النساء: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٢- إصلاح الأسرة بالتشريعات المناسبة:

ومن ذلك إصلاح الأسرة بالتشريعات القرآنية المناسبة لظروفها وأحوالها في الطلاق والنشوز والإيلاء والظهار وآداب الإستئذان وحفظ الفروج وغيرها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لَنْدَهُبُوا بَبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهَتَائِكُمْ وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا﴾ [النساء: ٢٠، ١٩].

وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤، ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَاتِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ

قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ [المجادلة: ٤٣، ٤٤].

٣- التكافل الاجتماعي:

القائم على العناية والرعاية لحقوق الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين إلى أنواع المساعدة والإنفاق:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال عز وجل: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٩٠﴾ إِنْ مَا نُطْعِمُكُمْ لَوْ جَهَّ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩٠، ٩١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٤- التزام مبدأ الأخوة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٥- التزام مبدأ التعاون:

قال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

٦- التزام مبدأ العدل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الحل: ٩٠].

٧- التزام مبدأ التقوى:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقال عز وجل: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٨- التزام مبدأ الرفق والرحمة:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[الفتح: ٢٩].

٩- التزام مبدأ الحب والإيثار:

قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

١٠- التزام مبدأ الوفاء بالعهد والوعد:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

١١- التزام مبدأ لأمانة والصدق:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

١٢- التزام مبدأ العفو والصفح الجميل:

قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

١٣- التزام مبدأ الدعوة إلى الخير:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

١٤- التزام طاعة أولى الأمر إلا إذا أعلنوا كفرًا صراحًا فلا تجب طاعتهم:
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

١٥- رعاية الحرمات والآداب العامة للمجتمع:
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].
وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يُتِبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النساء: ١١].
الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢، ١١].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إلى غير ذلك من الآيات الجامعة لقواعد وأصول إصلاح المجتمع الإسلامي الذي أراده الله تعالى ورسوله ﷺ.

الفصل العاشر

الدعوة إلى
صلاح النظام الاقتصادي

الدعوة إلى إصلاح النظام الاقتصادي



ومن مجالات الدعوة في القرآن: دعوته إلى إصلاح النظام الاقتصادي للمجتمع الإسلامي الذي دان بالإسلام شريعة، وبالقرآن الكريم منهاجاً ودستوراً.

والدعوة إلى إقامة نظام اقتصادي إنما هي جزء من شمولية الدعوة القرآنية، لأنه كتاب دنيا ودين معاً، ولأن حركة المجتمع لا تتم غالباً إلا من خلال هذا النظام الذي يسمى: «بالنظام الاقتصادي» والذي يمثل القاعدة الكبرى في حياة المجتمع الإسلامي، ومن ثم كانت العناية القرآنية منصرفة إلى مثل هذا النظام، وإلى وضع قواعده ومبادئه التي يركز عليها ليسعد هذا المجتمع بأفراده ومجموعه.

ومن هنا فإن النظام الاقتصادي في الإسلام يقوم على أساس العقيدة الإسلامية، ويتفرع منها، فهذه العقيدة إذن هي أساسه الفكري: وهو يراعي الفطرة الإنسانية ومعاني الأخلاق الفاضلة، ويؤكد على ضرورة سد حاجات الأفراد اللازمة للعيش، وهذه هي خصائصه، وبناءً على أساسه وخصائصه تنبثق جملة مبادئ عامة وتنظيمات جزئية، كما أنه يحدد موارد بيت المال ومصارفه لتستطيع الدولة توفير حاجات الأفراد ومصالحة المجتمع.

إن فقه هذا الأساس الفكري للنظام الاقتصادي في الإسلام من قبل المسلم ضروري جداً له لأنه بهذا الفقه، واستحضاره في ذهنه سيعرف مركزه الحقيقي في الدنيا، وعلاقته بها وغايته في الحياة، وبالتالي يتقبل بنفس راضية جميع الضوابط والتنظيمات التي جاء بها الشرع الإسلامي في مجال النشاط الاقتصادي، وسيندفع لتنفيذ هذه الضوابط والتنظيمات والتقييد بها، وبهذا تظهر ثمار النظام الاقتصادي

في واقع الحياة ويسهم هذا النظام في تحقيق ما خلق الإنسان من أجله. (١)

* النظام الاقتصادي في القرآن ومبادئه:

أشرنا من قبل أن القرآن كتاب دنيا ودين، وهو أيضاً شاملٌ كاملٌ لكل مناحي الحياة الإنسانية وجوانبها.

ومن ثم تحدث القرآن عن أحد هذه الجوانب الحياتية الهامة وهو الجانب الاقتصادي ورسم القرآن خطة ربانية متكاملة يقوم عليها هذا النظام، كما أبان القرآن عن قيمة المال ودوره الهام في حياة الناس، وأنه عمود الاقتصاد وأساسه، وأوضح كيفية استغلاله واستثماره في المصارف المشروعة والجهات النافعة، وأوضح القرآن أيضاً تحريم قيام هذا النظام على النظم غير الشرعية كالسرقة والغش والظلم والربا والقمار، والعمل على توفير موارد الكسب المشروعة والمباحة، من حرية العمل وفرض الزكوات، والدعوة إلى الإنفاق في وجوه الخير النافعة للمجتمع، وغير ذلك من مبادئ وأسس هذا النظام الاقتصادي.

ولنعرض هنا بعضاً من المبادئ والأفكار التي دعا إليها القرآن وبينها في هذا الجانب: (٢)

١- الملك لله :

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠]

وقال عز وجل: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.
(٢) لمزيد من الأصول والمبادئ يراجع كلاً من أصول الدعوة، والمعاملات في الإسلام، والاقتصاد الإسلام واتجاهاته وغيرها في هذا الباب.

٢- التهيئة والتسخير:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

٣- الاستخلاف والوكالة:

قال عز وجل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

٤- احترام حق الملكية:

فالله هو المعطي في الحقيقة وهو صاحب المال فلا بد من معرفة حق الغير فيه:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

فنسب الملك لله على حقيقته.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

٥-وجوب السعي والحركة:

قال عز شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[الجمعة: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

٦- وجوب التزام الحلال الطيب في كسب المال وإنفاقه:

كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا

أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٧- تحريم وسائل الكسب غير المشروعة:

فمن هذه الوسائل المحرمة:

* الربا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة: ٢٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

* ومنها القمار والاتجار بالمخدرات:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿ ومنها تطفيف المكاييل والتلاعب بالموازنين: ﴾

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾
[المطففين: ١-٥].

﴿ ومنها السرقة: ﴾

قال عز وجل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

﴿ ومنها أكل مال اليتامى ظلماً: ﴾

قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

﴿ ومنها أكل أموال الناس بالباطل: ﴾

قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴿٢٩﴾﴾ [المساء: ٢٩].

﴿ ومنها عضل النساء وإكراههن على ترك شئ من المهر: ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

٨- طلب الإنفاق في الوجوه المشروعة والمباحة وتحريم الإنفاق في غيرها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال عز وجل: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال جل شأنه: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْإِنْسَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْوَعْدُ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠].

٩- ضبط النظام الاقتصادي:

* وذلك بالنهي عن الإسراف:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

* وبالنهي عن الشح والأمر بالإعتدال والقصد:

قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

[الفرقان: ٦٧].

* بالحجر على السفهاء الذين لا يضعون المال موضعه:

قال سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

* وباختبار اليتامى بعد البلوغ قبل تسليمهم أموالهم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

* وبكتابة الدين والرهن:

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

[البقرة: ٢٨٢].

١٠- تفتيت الثروات:

وذلك حتى لا تتكدس الثروات في أيدي قليلة فيقع الفساد في المجتمع وذلك من خلال وسائل منها: (١)

* عدالة التوزيع:

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

* ندد بالكنز وإمساك المال والبخل به:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(١) المعاملات في الإسلام، د. عبد الستار فتح الله.

✽ فرض فيها الحقوق السابقة:

قال عز وجل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

✽ تقسيم الميراث والعدالة في توزيعه:

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]

١١- وضع الضوابط الأخلاقية:

من ذلك قول تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هذه بعض المبادئ والأصول التي وضعها الإسلام في المنهاج الأقوم القرآن الكريم، والتي من شأنها أن ترفع المجتمعات إلى مستقبل مشرق باهر، بإذن الله تعالى.

إِفْطِيحُ الْجَاهِلِيَّةِ عَشْرًا

الدعوة إلى إقامة
العقوبات الشرعية
على المخالفين والمعتدين

الدعوة إلى إقامة العقوبات الشرعية
على المخالفين والمعتدين



و من مجالات الدعوة القرآنية:

الدعوة إلى إقامة الحدود والعقوبات الشرعية على المخالفين والمعتدين على أحكام الشرعية الإسلامية، وعلى حرمان المجتمع أو الواقعين في المخالفات الشرعية.

ونحن نرى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أحكاماً كثيرةً تبين الأفعال والتروك المحرمة التي يعاقب مرتكبها، وهذه الأحكام وما ينبني عليها أو يتفرع منها تكون ما يمكن تسميته بنظام الجريمة والعقوبة في الإسلام أو بالقانون الجنائي الإسلامي.

والقانون الجنائي الإسلامي في أصله قانون عالمي، لأنه جزء من الشريعة الإسلامية، وهي بطبيعتها شريعة عالمية لا إقليمية أراد مشرعها- وهو الله جل جلاله- تطبيقها على كافة الناس في جميع بقاع الأرض، وهم مخاطبون بأحكامها، مطالبون بتنفيذها، ولكن لعدم ولاية دار الإسلام على ما سوى إقليمها فقد تعذر تطبيقها في خارج إقليمها.

أما في داخل إقليم الإسلام، فيجب التطبيق، لأن الولاية فيها للمسلمين، وفي هذا المعنى يقول الإمام أبو يوسف: «ولأن الشرائع هي العموم في حق الناس كافة إلا أنه تعذر تنفيذها في دار الحرب لعدم الولاية، وأمكن في دار الإسلام فلزم التنفيذ فيها»^(١).

وعلى هذا فإن أحكام القانون الجنائي الإسلامي تطبق على الجرائم

(١) بدائع الصنائع للكاساني.

التي تقع في دار الإسلام بغض النظر عن جنسه مرتكبها أو ديانتها وهذه هي القاعدة العامة.

إلا أن في بعض جزئياتها اختلافاً قليلاً بين الفقهاء بالنسبة للذميين.^(١)

* الجريمة وأنواعها:

وأساس اعتبار الفعل أو الترك جريمة هو: ما فيه من ضررٍ محققٍ للفرد وللجماعة، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن بين لهم ما يفعلون، وما يتركون لحفظ مصالحهم، وتحقيق الخير والسعادة لهم في دنياهم وآخرتهم، واستقراء نصوص الشريعة الإسلامية يدل دلالة قاطعة على أن ما حرمه الإسلام من فعل أو ترك، وعاقب عليه، يشتمل على أضرار بالفرد والمجتمع محققه، وتظهر هذه الأضرار بالمساس بالدين أو بالعقل أو بالنفس أو بالعرض أو بالمال، وما يترتب على ذلك من إفسادٍ أو إخلالٍ في المجتمع.

والجرائم على اختلاف أنواعها يجمعها جامع واحد، هو أنها محظورات شرعية معاقب عليها، وقد قسمها الفقهاء إلى ثلاثة أنواع بالنظر إلى نوع عقوبتها وهي:

١- جرائم الحدود.

٢- جرائم القصاص والديات.

٣- جرائم التعزير.^(٢)

* تشريع العقاب:

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.

(٢) المصدر السابق.

وتشريع العقاب الدنيوي في الشريعة الإسلامية من مظاهر رحمة الله بعباده، لأنه يزجر الإنسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الإثم، وإذا وقع في الجريمة فإن العقوبات في حقه بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه، وبمنزلة قطع العضو المتآكل، فإن بهذا القطع وذلك الكي مصلحة له وإبقاءً لحياته، وإيقافاً للمرض من السراية وإهلاك الجسم كله، كما أن هذا العقاب للمجرم مصلحة مؤكدة للمجتمع كما أشرنا من قبل لما يترتب عليه من اطمئنان الناس على حياتهم وأموالهم وإخافة للمجرمين وهذه المصلحة العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما جنت يده.

كما أن العقوبات الشرعية تقام على، جميع من قامت فيهم أسبابها وشروطها لا فرق بين شريفٍ ووضيعٍ، وقويٍ وضعيفٍ، فإن المحاباة في إنزال العقوبات الشرعية سبب لهلاك الأمة، جاء في الحديث الشريف: أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأهم قومها أمرها فكلموا فيها أسامة بن زيد ليكلم رسول الله ﷺ في شأنها فلما فعل ذلك غضب رسول الله ﷺ وقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١).

والواقع أن المساواة بين الرعية في إقامة العقوبات خير رادع للأقوياء الذين قد تسول لهم قوتهم الإجرام لما يظنونهم من محاباة لهم بسبب قوتهم وعدم عقوبتهم، لأنهم إذا رأوا هذه المساواة الصارمة في العقاب خنسوا ولم تعد توسوس لهم أنفسهم بهذا الوسواس الباطل، لأن قوتهم - وقد رأوا حزم الدولة في معاقبتهم - لا تخلصهم من العقاب لأن قوة الدولة أكبر من قوتهم، كما أن الضعيف سيطمئن لأن الدولة معه، فهو أقوى من أي فردٍ قويٍ فلا

(١) المصدر السابق.

يخشى اعتداه.

* وجميع العقوبات الشرعية بنيت على أساسين كبيرين:

الأول: العدل.

والثاني: الردع.

- ويظهر الأساس الأول - العدل - في أن العقوبة بقدر الجريمة: قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

فليس فيها زيادة على ما يستحقه المجرم، وإن ظن بعض الجهلاء هذه الزيادة.

- ويظهر الأساس الثاني - الردع - في مقدار الألم الذي تحدثه العقوبة في

المجرم، وما تسببه له من فقدان حريته أو بعض أعضائه، ولاشك أن فقد هذه الأشياء يؤلمه ويخيفه، فيمتنع من الإجرام بدافع من حب الذات والخوف من المؤذي المؤلم، إذا ما سولت له نفسه الإجرام وزين له الشيطان مخالفة حدود الإسلام.^(١)

* العقوبات والحدود في القرآن:

وإذا تأملنا النصوص القرآنية الواردة في شأن المخالفين أو المتعددين لحدود الله، نرى أن القرآن قد بين جلها في آياته المحكمات، والبعض الآخر فيها جاءت به السنة النبوية المطهرة، وما لم يرد فيه نص شرعي من كتاب أو سنة، فإن له الحظ من القياس والاجتهاد عند أهل العلم.

(١) أصول الدعوة.

ولنقف هنا مع بعض أنواع العقوبات الشرعية الواردة في نصوص القرآن الكريم؛ فمن ذلك:

١- عقوبة الزنا:

وهي الجلد أو الرجم و التغريب؛ أما الجلد فالأصل فيه قول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وأما الرجم فقد ثبت بسنة رسول الله ﷺ وأجمع عليه الصحابة والمسلمون ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الخوارج. (١)

٢- عقوبة القذف:

والقذف هو الإتهام بالزنى والعياذ بالله قال تعالى فيه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

[النور: ٥،٤]

وأما قذف الرجل لزوجته فهو يسمى باللعان:

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعَنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦-٩].

٣- عقوبة الخمر:

أما تحريم الخمر فهو ثابت بالقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا

(١) المصدر السابق.

الْخُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

[المائدة: ٩٠].

أما عقوبتها فهي ثابتة بالسنة النبوية وإجماع المسلمين، وهي الضرب بالجريد والنعال أربعين، أما الثمانون فهي عند الحاجة. ^(١)

٤- عقوبة السرقة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

٥- عقوبة قطع الطريق:

وتسمى: الحراة أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ

فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ

الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ

تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

٦- عقوبة البغي:

وهي: خروج جماعة ذات قوة وشوكة على الإمام بتأويل سائغ يريدون

خلعه بالقوة والعنف، ويسمون «البغاة» قال تعالى في ذلك: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ

إِلَى أَمْرِ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩].

٧- أما القصاص والديات:

أما القصاص فقد قال تعالى فيه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى

(١) المصدر السابق.

الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴿البقرة: ١٧٨﴾.

وأما الديات فورد فيها آيات:

قال تعالى: ﴿فَدِيَّةٌ مِّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

كل هذه العقوبات والتشريعات تبين عظمة المنهاج الإسلامي وكما له في حماية الأفراد والمجتمعات، ونستطيع إذاً أن ندرك أهمية هذا الجانب في التشريع الإلهي، وأهمية التحديد فيه إذا تتبعنا تحبط القوانين البشرية، وفشلها قديماً وحديثاً في هذا الباب، سواء منها ما يتعلق بتحديد الحرية ذاتها، أو درجتها، أو نوع العقاب المناسب لها، أو وسيلته التي تصلح للمجتمع ولا تزيده فساداً.

أما القوانين الأوربية التي يعيب أصحابها الإسلام فهي أشد تحبطاً بين الطرفين ولا تكاد تستقر على شيء إلا شيئاً قرره هذا الدين وهدى إليه العالمين.^(١)

(١) المعاملات في الإسلام د. عبد الستار فتح الله.

الفصل الثاني عشر

الدعوة إلى الحذر
من الشيطان واتباعه
وبيان عداوته للإنسان

الدعوة إلى الحذر من الشيطان واتباعه
وبيان عداوته للإنسان



ومن مجالات الدعوة وأصولها في الخطاب القرآني:

دعوة القرآن إلى الحذر من كيد الشيطان الرجيم ومن اتباعه، كما بين القرآن في دعوته مدي عداوة الشيطان للإنسان واستكباره عن السجود له، وكيف أن الشيطان يتخذ المكائد والحيل في إغواء الإنسان وإضلاله وإيقاعه في حبائل الشرك والكبائر والبدع والمعاصي وغير ذلك.

• بيان ما يدعوا إليه الشيطان:

لقد شدد الله تعالى الحذر والوعيد في القرآن من متابعة الشيطان، وعبادته، وقبل أن نشرع في ذكر الآيات القرآنية الواردة في ذلك، لنري أولاً منهج الشيطان في دعوته إلى الكفر والإلحاد، وإلى عبادته بأي شكلٍ أو علي أي وجهٍ كانت.

ذكر الإمام أحمد عن سيرة بنت أبي فاكهة قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر ذريتك ودين آبائك، قال: فعصاه وأسلم، قال: وقعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول فهاجر وعصاه.

ثم قعد له في طريق الجهاد وهو جهد النفس والمال؛ فقال تقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال. قال: فعصاه فجاهد قال رسول الله ﷺ: «لمن فعل ذلك منكم كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقاً علي الله أن

يدخله الجنة وأن غرق كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة وإن وقضته دابته كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة».

ومن هذا الحديث يتبين لنا مكائد الشيطان التي يكيدها لإغواء ابن آدم وإبعاده عن الحق الذي أمر به ودعي إليه، وحتى يتبين ذلك بوضوح نقف هنا مع مراتب الإغواء والإضلال، التي لا زال الشيطان يحث الخطأ حثيثاً حتى يصل بالإنسان إليها وهي ستة مراتب كالتالي:

١- مرتبة الكفر والشرك: ومعاداة الله تعالى ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم، برد أنينه واستراح من تعبته معه هذا أول ما يريده من العبد، وأول ما يدعوه إليه.

٢- مرتبة البدعة:

وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها في الدين، قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلي إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلي التي تليها.

٣- مرتبة الكبائر: والكبائر علي اختلاف أنواعها وصورها وقد أفضنا في ذكر بعضها في فصل كامل.

٤- الصغائر:

والصغائر هذه إذا اجتمعت علي عبد ربما أهلكته خاصة إذا تهاون بها ولم يرع لها بالاً وقد قال النبي ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض فجاء كل واحد بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا واشتتوا».

٥- المباحات:

فإذا عجز الشيطان عن الصغائر اشغل العبد بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عقابها فوات الثواب والأجر، الذي فات عليه في وقت اشتغاله بها، وهذه مرتبة يقع فيها كثير من الصالحين والطيبين دون أن يشعر بذلك إلا من رحم ربك.

٦- العمل المفضول:

فإذا عجز الشيطان عن إشغاله بالمباحات شغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه في الثواب والأجر حتى يفوت عليه الشيطان ثواب العمل الفاضل كأن يسير إنسان في مكان وهو يذكر الله تعالى فإذا رأى المنكر، لم يسعي إلي تغييره، بل يقول له الشيطان، أنت في ذكر وثواب فلا تشغل نفسك بذلك. ومن هنا يجب علي كل مسلم أن يحذر هذا اللعين الرجيم وأن يتحاط منه، وأن يسأل الله أن يحفظه من كيدته وشره^(١).

* * *

* الشيطان في القرآن:

ومن أجل خطر الشيطان وشدة عداوته للإنسان نرى أن القرآن أولاه عناية كبيرة في الذكر في جل آياته وسورة، ببيان كيدته وحيله، ومرة بالتحذير من اتباعه وعبادته، ومرة بالاستعاذة من شره، ومرة ببيان صفاته الذميمة وأخلاقه وإليك بيان ذلك كله:

* صفات الشيطان:

وصف الله سبحانه الشيطان الرجيم بصفات ذميمة وذكر في القرآن بعضاً منها في كثير من الآيات فمن ذلك:

١- الكبرياء:

(١) راجع تلبس إبليس لابن الجوزي وإغاثة اللهفان لابن القيم فإن فيهما الكفاية إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٢- التمرد والعناد:

قال تعالى مخبراً عن الشيطان: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَفُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

٣- اللعنة:

قال سبحانه وتعالى لإبليس: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

٤- الوسوسة والمكر:

قال الله عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٦].

٥- إخلاف الوعد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

٦- النزغ:

قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦].

٧- الخنس:

قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

٨- الغرور:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

٩- الكيد:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

[النساء: ٧٦].

١٠- التخبيط والمس:

قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

١١- الهمز:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

١٢- الفتنة:

قال عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ

يَتَرَعَّ عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

١٣- الإزلال:

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

١٤ - التخويف:

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* الآيات القرآنية في البحث عن الشيطان:

الشيطان: مأخوذ من شطن إذا بعد من الخير، أو مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك أو شاط إذا احترق.

وسمي الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده، وكل عاتٍ متمردٍ من الجن والإنس والدواب شيطان.

وقد جاء ذكر الشيطان في كثير من آي القرآن، ويرد ذكره مفرداً وجمعاً معرفاً ومنكراً، وفي كل القرآن يجيء ذكره مقترناً بفعل الشر ولا ينسب إليه فعل الخير البتة.

وإبليس: هو أبو الشياطين وقائدهم إلى الفتنة والمضرة دائماً وأبداً، فهو وجنوده يلحقون الضرر بالإنسان في دينه ودنياه، وقد وهبه الله عمراً مديداً فهو من المنظرين إلي يوم الدين، كما بصره الله بأنواع الشر والفسوق والعصيان ولعنه ومن اتبعه وقضي عليهم العذاب الأليم في دار الجزاء.

وفيما يلي تفصيل الآيات التي يسند فيها عمل الشر للشيطان وفتنته للإنسان:

١ - العداوة للإنسان:

قال الله تعالى في القرآن عن تلك العداوة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تَلَکُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقَلَّ لَکُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَکُمَا عَدُوٌّ

مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

٢- الفتنة للإنسان والإضرار به:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الإنعام: ٤٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾

[الأعراف: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بضع سنين﴾

[يوسف: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقال جل وعلا: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ

إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[البقرة: ٢٦٨].

وقال جل شأنه: ﴿وَإِمَّا يُنَسِّبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال جل جلاله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يترغُ بَيْنَهُمْ﴾

[الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ

فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾

[القصص: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[المجادلة: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال عز وجل: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ

مِّنْكَ﴾ [الحشر: ١٦].

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ

كُفُورًا ﴿[الإسراء: ٢٧].

وقال جل أمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

٣- الشيطان وأوليائه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال سبحانه: ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿أَفَسْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

٤- الشيطان وحزبه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ

حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

٥- ذكر القرين من الشيطان:

والقرين هو الشيطان المصاحب للإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصفات: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

٦- عناد الشيطان لله تعالى:

قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

٧- ذكر التعوذ من الشيطان:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

٨- الوقاية من الشيطان وشره^(١):

قال الله جل وعلا: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].
وقال سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿[الناس: ١: ٦].

وهكذا يجلي لنا ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم صفات الشيطان الرجيم، ويبين لنا مداخله ومكائده، التي يكيد بها للإنسان، فلنحذر منه أشد

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.

الدعوة إلى الحذر من الشيطان واتباعه

الحذر وذلك: بدوام الإستعاذة منه واللجوء إلى الله تعالى، وتلاوة كتابه العزيز والعمل به، ولزوم ذكر الله في كل الأوقات، والإعتصام بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وسائر أحواله.
نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الشيطان وحزبه، ونعوذ بالله من شروره ومكائده.

* * *

الفصل الثالث عشر

الدعوة إلى الإتياع الشرعي
والإعراض عن الإتياع
غير الشرعي

الدعوة إلى الإتياع الشرعي والأعراض عن الإتياع غير الشرعي



ومن مجالات الدعوة وأصولها في الخطاب القرآني:

دعوة القرآن إلى الإتياع الشرعي المطلوب من المسلم خاصة، والإعراض عن كل أنواع التبعية غير الشرعية، والتي نها عنها القرآن والسنة من إتياع الشياطين والأنفس والأهواء والشهوات وغير ذلك.

إن موضوع الإتياع أو التبعية له شأنه وقدره، ولذلك أولاه القرآن الكريم جانباً من الحديث والبيان، لأن القرآن كتاب التوجيه والإرشاد والهداية، كتاب بإنزاله إلى الأرض ترتب عليه الثواب والعقاب، وترتب عليه المصير في الآخرة إما إلى الجنة أو إلى النار.

فكان ولا بد من البيان والإيضاح، وقد ضمن الله سبحانه كتابه كل أنواع التبعية الشرعية وغير الشرعية، لأنه الكتاب الهادي إلى سبيل الرشاد فكان ولا بد من أن يميز القرآن بين الخير والشر، وبين الإيمان والكفر، وبين النفع والضرر.

بين الإتياع الشرعي الجائز سواء أكان الواجب أو المباح، والإتياع غير الشرعي سواء أكان للنفس أم للطواغيت والأهواء، كان لزاماً علي الله تعالى أن يبين كل هذا في كتابه الكريم «ليميز الله الخبيث من الطيب».

أولاً: الإتياع الشرعي:

وردت مادة «تبع» وما صيغ منها في القرآن الكريم مائة وأربعة وسبعين موضعاً.

ويمكن حصر الإتياع في القرآن في نوعين جامعين:

الأول: الإتياع الشرعي.

الثاني: الإتيان غير الشرعي وهذا الإتيان لا يرضاه الله تعالى ولم يأذن به كإتيان الأهواء الضالة والشهوات الجامحة، والشياطين المضلة^(١).

* * *

• صور الإتيان الشرعي في القرآن:

أما الإتيان الشرعي الجائر فقد تحدث عن أنواعه القرآن وجمع لنا بعضاً من صورته، وفيما يلي بيان ذلك إن شاء الله تعالى:

١- إتيان الأنبياء والمرسلين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[النساء: ٦٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

[المتحنة: ٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

٢- إتيان الدعوة العاملين:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

(١) راجع الإتيان في ميزان الإسلام د. عبد البديع أبو هاشم فقد أفاض فيه وأحسن وهو موضوع حري بالمطالعة والدراسة وقد جعلته عمدي في هذا الفصل فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

قَوْمٍ إِنَّمَا هَـذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٨﴾ مَنْ عَمَلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾ [غافر: ٣٨-٤١]. وسياق هذه الآيات كان في مؤمن آل فرعون.

٣- إتباع أهل السبق بالخيرات:

ورد في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٤- إتباع الآباء الصالحين:

كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقال عز وجل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

٥- إتباع الكتاب والسنة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١-٣].

وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأنعام: ١٥٥].

وقال عز وجل: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

أما عن الطاعة العامة في كل الشئون والأمور فقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

• ثمرة هذا الإلتباع الشرعي في القرآن:

١- الأمن والسلام والهداية في الدارين:

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال عز وجل: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٧].

٢- التمكين في الدنيا:

قال عز وجل: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

٣- إكرام الخلق لهم في الدنيا:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الشعراء: ٢١٥].

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٨﴾ [غافر: ٧، ٨].

٤- حسن المآب:

قال تبارك وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانياً: الإتياع غير الشرعي وصوره:

وقد ورد ذكر هذا الضرب من التبعية في القرآن بصورٍ كثيرةٍ منها ما يلي:

١- إتياع النفس في الباطل:

ورد هذا النوع أو هذه الصورة في القرآن في ثلاث صور:

(أ) منها إتباع الأهواء الشخصية:

قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتَنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].

• إتباع الهوى في القضاء:

قال الله سبحانه: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

• إتباع الهوى في العلم:

وقال تعالى: ﴿وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

• إتباع الهوى في قبول الشرك ونبذ التوحيد:

قال سبحانه وتعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].

• إتياع الهوى في الصد عن وحي الله:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

• إتياع الهوى في التكذيب بالقرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

• إتياع الهوى في التكذيب بالساعة:

قال جل شأنه: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِئَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ • فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥: ١٦].

• إتياع الهوى في التكبر علي عباد الله الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(ب) إتياع الشهوات النفسية:

وهذا الإتياع ورد في القرآن بعدة صورٍ أيضاً؛ من ذلك:

• إتياع الشهوات في إضاعة الصلوات:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

• إتياع الشهوات في الزنا:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

• إتيان الشهوات في إتيان الرجال دون النساء:

قال جل جلاله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

• إتيان الشهوات في تفضيل البنين علي البنات:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [التوراة: ٥٨، ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [م: ١٥-١٩].

مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيبَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿

(ج) إتيان الظنون الفاسدة:

وقد أورد الله في القرآن صوراً للظن في مورد الدم والتقيح تنفيراً من هذا الخلق الذميمة وصرفاً للناس عن الكذب فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

أما عن صورته وأمثلته:

• إتيان الظن في نسبة الشركاء إلى الله:

ومن ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨].

• إتباع الظنون في أحكام الحلال والحرام:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

• إتباع الظنون في القول بقتل المسيح وصلبه:

كما قال جل شأنه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

٢- إتباع الغير في الباطل.

كما أنكر القرآن إتباع الإنسان لنفسه في الباطل في صورة هوى أو شهوة أو

ظن فاسد كذلك أنكر القرآن إتباع الإنسان لغيره في الباطل أياً كان هذا الغير.

ولما كان الإتياع يقوم علي الولاء نهي الله عن اعطاء الولاء للغير إلا علي أساس من دينه تعالي، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

كما نها عن متابعة الكفار علي دينهم فقال تعالي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

ونهي عن إتباع الآثمين والمفسدين فقال تعالي: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقال تعالي: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

كما نهي عن إتباع الغير في التحليل والتحريم فقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِمَّ شُهَدَاءِكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

* ولقد سجل القرآن الكريم إتباع الغير في الباطل في ثلاث صور:

- ١- إتباع الشياطين.
- ٢- إتباع الأسلاف والآباء.
- ٣- إتباع السادة والكبراء.

* وإليك بيان هذه الصور كما وردت في القرآن:

١- إتياع الشياطين:

وهذا الإتياع الأعمى للشياطين وردت صورته في القرآن الكريم تقييحاً وتحذيراً فمن ذلك:

(أ) إتياع الشياطين في المجادلة في الله بغير علم:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

(ب) إتياع الشياطين في ترك بعض الدين:

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(ج) إتياع الشياطين في كذبهم:

كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(د) إتياع الشياطين في قذف الحصنات:

كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

(هـ) إتياع الشياطين في بطر النعمة وكفراهما:

كما قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

(و) إتباع الشياطين في تحريم ما أحل الله:

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

(ز) إتباع الشياطين داخل معسكر الجهاد:

كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

٢- اتباع الأسلاف والآباء:

أولاً: اتباع الأسلاف:

ورد اتباع الأسلاف بالنهي عنه في القرآن الكريم في كل أنواعه وصوره فمن ذلك:

(أ) إتباع الأسلاف في الحكم بغير ما أنزل الله:

كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتُونَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩].

(ب) إتباع الأسلاف في الغلو في الدين:

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

(ج) إتباع الأسلاف في ترك دين الله إلى ملتهم:

كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

ثانياً: إتباع الآباء:

لقد مثل القرآن الكريم لهذا الانقياد المذموم وهذا الإتيان الأعمى للآباء في الباطل بأمثلة ثلاثة وهي:

(أ) إتباع الآباء في عبادة غير الله:

كما قال جل ذكره: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۗ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۗ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ۗ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۗ قُلْ أَوْلَوْا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠-٢٤].

(ب) إتباع الآباء في إنكار النبوة:

كما قال جل ذكره حكاية علي لسان قوم نوح: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وقال سبحانه علي لسان بني إسرائيل: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ [القصص: ٣٦].

(ج) إتباع الآباء في تحريم ما أحل الله:

كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

٣- إتباع السادة والكبراء:

وقد مثل الله تعالي هذه الصورة من التبعية العمياء في القرآن بعدة أمثلة منها:

(أ) إتباع السادة والكبراء من قوم نوح عليه السلام:

كما قال جل ثناؤه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

(ب) إتباع السادة والكبراء من قوم عاد:

كما قال تعالي: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (هود: ٥٩).

(ج) إتباع السادة والكبراء في أمة موسى عليه السلام:

كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

• آثار الإتياع غير الشرعي:

١- إضلال الأعمال:

قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿١٧﴾ [محمد: ١-٣].

٢- الهلكة في الدنيا:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ [المرسلات: ١٦-١٨].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٩﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٨﴾ [طه: ٧٨، ٧٩].

٣- موقفهم عند الموت:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ [محمد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

٤- موقفهم في الحشر:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَّا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ [طه: ١٠٨].

٥- حالهم حين الوقوف علي النار:

قال الله جل جلاله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ

بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

٦- سوء العاقبة في الدار الآخرة:

كما أخبر الله تعالى في حوارهِ مع الشيطان: ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨].

٧- اللعنة عليهم في الدنيا والآخرة:

كما قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾

[هود: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾

[القصص: ٤٢].

الفصل الرابع عشر

لدعوة إلى معرفة التاريخ
وقصص الأمم السابقة
للاعتبار والعظة

الدعوة إلى معرفة التاريخ وقصص
الأمم السابقة للاعتبار والعظة



ومن مجالات الدعوة القرآنية وأصولها:

دعوة القرآن الكريم إلى معرفة التاريخ وأحداثه وأيامه، ومعرفة أحوال الأمم السالفة في الزمان المنقضي، والتبصر بعواقبهم.

لأن معرفة التاريخ الإنساني والقصص المتضمن للأمم والأقوام والقبائل وبيان أعمالهم وحضارتهم، وبيان أحوال المكذبين للوحي والرسول منهم، ومعرفة عواقبهم فيه من العبر والدروس والعظات ما يجعل من ذلك معتبر وإصلاح للمستقبل القادم من بعيد بإذن الله.

إن القرآن يطالب المسلم بالمعرفة الثقافية التاريخية والتي أولها القرآن قسطاً كبيراً من العرض المتمثل في القصة القرآنية البديعة، ذلك حتى يوسع الإنسان آفاقه، ويطلع على أحوال الأمم، وتاريخ الرجال، وتقلبات الأيام بها وبهم، ويستبصر بالسنن الربانية الجارية في الكون وأحداثه ووقائعه، وحتى يعلم عوامل قيام الأمم، وأسباب سقوطها وإهلاكها، وكيف أن الحق دائم وخالد وباق مهما علا صوت الباطل وانتفش ريش جناحيه، هذا بالنسبة إلى التاريخ عموماً.

* أما القصة القرآنية فهي تعد لوناً من ألوان التاريخ، والتاريخ هو ربط الأحداث بأزمانها، وهكذا تكون الأشخاص في القصة القرآنية جزءاً من أحداث حياة زمانها.

وما دام التاريخ هو ربط الأحداث بأزمانها، سواء أكان فعلاً أم فاعلاً لفعل

فإن لنا أن نعرف أن الحدث التاريخي يدور حوله الأشخاص مثلما حدث لتاريخ الإسلام مثلاً.

فالإسلام حدث هز الكون كله وعندما يؤرخ له أحد، فإنه يبدأ بتاريخ نزول القرآن علي رسول الله ﷺ، ثم دعوته للمسلمين الأوائل كأشخاص داروا حول الحدث فعرف تأثير الحدث فيهم.

وقد نؤرخ لعمر رضي الله عنه علي سبيل المثال فيقال إننا أرخنا لشخصية عمر وأوضحنا الأحداث التي دارت حول الشخص، ونفهم من ذلك أن التاريخ حدث مرتبط بزمن^(١).

* * *

• القصص القرآني:

القصص القرآني مصدر علي ما يروي من الأخبار والأحداث، وقد بين القرآن الكريم العبرة والهدف من عرضه لقصص السابقين وأحوالهم والمصير الذي آلو إليه، وذلك لما كان القرآن ينزل علي النبي ﷺ، ويقص عليه أنبيائهم ومآلهم.

وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وذلك لتمام مطابقتها للواقع.

وأحسن القصص لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

(١) فتاوى القرآن للشيخ الشعراوي.

وذلك لاشتمالها علي أعلي درجات الكمال في البلاغة وجلال المعني.

وأنفع القصص لقوله تعالي: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[يوسف: ١١١].

وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق^(١).

• أقسام القصص في القرآن:

وهذه القصص في القرآن ثلاثة أقسام:

١- قسم عن الأنبياء والرسل وما جري لهم من المؤمنين بهم والكافرين.

٢- وقسم عن أفراد وطوائف جري لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالي عنهم كقصة مريم ولقمان، والذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها، وذي القرنين وقارون وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل وأصحاب الأخدود وغير ذلك.

٣- وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر وأحد والأحزاب وبنو قريظة وبنو النضير وزيد بن حارثة رضي الله عنه وأبي لهب وغير ذلك^(٢).

• تكرار القصص في القرآن:

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف، ومنها ما يأتي متكرراً حسب ما تدعوا إليه الحاجة وتقضيه المصلحة، ولا

(١) أصول في التفسير لابن عثيمين.

(٢) أصول في التفسير لابن عثيمين.

يكون هذا المتكرر علي وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر، ومن الحكمة في هذا التكرار:

١- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل علي العناية بها.

٢- توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس.

٣- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما يأتي من القصص في السور المكية والعكس فيما يأتي في السور المدنية.

٤- بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص علي هذا الوجه وذاك الوجه علي ما تقتضيه الحال.

٥- ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله حيث يأتي بهذه القصص متنوعة بدون تناقض^(١).

ومن ذلك إخباره بالوقائع التاريخية علي نحو يدهش من الصدق والبلاغة والعرض وقد نقل الشيخ الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» ما يلي:

• معجزة يكشف عنها التاريخ الحديث:

قال العلامة صاحب مجلة الفتح الغراء: في سورة التوبة نقرأ هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

فصدر هذه الآية وهو جملة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ يتضمن من وقائع التاريخ وحقائق العلم، أمراً لم يكن أحد يعرفه علي وجه الأرض في عصر نزول القرآن.

ذلك أن اسم: «عزير» لم يكن معروفاً عند بني إسرائيل إلا بعد دخولهم

(١) المصدر السابق.

مصر واختلاطهم بأهلها واتصالهم بعقائدها ووثنيتهما.

واسم: «عزير» هو «أوزيرس» كما ينطق به الإفرنج، أو «عوزر» كما ينطق به قدماء المصريين، وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد وانتحلوا عبادة الشمس، كانوا يعتقدون في «عوزر» أو «أوزيرس» أنه ابن الله، وكذلك بنو إسرائيل في دور من أدوار حلولهم في مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة عقيدة أن «أوزيرس» ابن الله وصار اسم «أوزيرس» أو «عوزر»: «عزير» من الأسماء المقدسة التي طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين وصاروا يسمون أولادهم بهذا الاسم الذي قدسوه كفرةً وضلالاً، فعاب الله عليهم ذلك في القرآن الكريم، ودلهم علي هذه الوقائع من تاريخهم الذي نسيه البشر جميعاً.

إن اليهود لا يستطيعون أن يدعوا في وقتٍ من الأوقات أن اسم عزير كان عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين.

وهذا الاسم في لغتهم من مادة «عوزر» وهي تدل علي الألوهية ومعناه الإله المعين وكانت بالمعني نفسه عند قدماء المصريين في اسم «عوزر أو أوزيرس» الذي كان عندهم في الدهر الأول بمعني الإله الواحد، ثم صاروا يعتقدون أنه ابن الله عقب عبادتهم الشمس.

واليهود أخذوا منهم هذا الاسم في الطور الثاني عندما كانوا يعتقدون أن «أوزيرس» ابن الله.

فهذا سرُّ من أسرار القرآن، لم يكتشف إلا بعد ظهور حقيقة ما كان عليه قدماء المصريين في العصر الحديث، وما كان شيء من ذلك معروفاً في الدنيا عند نزول القرآن. أهـ.

• **حكمة القصص في القرآن:**

ولذكر القصص في القرآن الكريم حكم كثيرة عظيمة منها^(١):

١- بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٥٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

٢- بيان عدالة الله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠١].

٣- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

٤- تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر: ٢٥، ٢٦].

٥- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه، والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

٦- تحذير الكافرين من الإستمرار في كفرهم، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠].

٧- إثبات رسالة النبي ﷺ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز

(١) أصول في التفسير لابن عثيمين.

وجل، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

• أمثلة من القصص القرآني:

كما بينا وأوضحنا أهمية معرفة قصص القرآن وأحداث الوقائع وتاريخ الأمم فإننا نشير هنا إلي بعض الأمثلة القرآنية في كتاب الله تعالى والتي أشارت إلي ضرورة الاعتبار والاتعاظ وأخذ الدرس والحكمة؛ وإيضاح هذه الأمثلة يكون علي أقسام القصص الثلاثة التي ذكرناها وذلك فيما يلي:

مثال القسم الأول:

نذكر هنا بإيجاز قصة قوم نوح وعاد وثمود كما أشار إليها القرآن الكريم في سورة القمر ولنبدأ بقوم نوح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْثُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ ﴿٥﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ [القمر: ٩-١٧].

أما عن قوم عاد فقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿٢﴾ تَتْرَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥﴾

[القمر: ١٨-٢٢].

أما عن قوم ثمود فقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ • فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ وَسُعْرٌ • أَلَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ • سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرِ • إِنَّا مُرْسَلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ • وَبَنَّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْتَضَرٌ • فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ • فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ • إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ • وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿[القمر: ٢٣-٣٢].

هذا مثال بإيجاز عن الأمم والأقوام التي كذبت أنبياء الله ورسله وخالفوا وحى السماء وأعرضوا عن الهدى وقد بين الله تعالى ذلك في مواضع كثيرة في كتابه.

مثال القسم الثاني:

أما عن قصص الأفراد والطوائف فنذكر هنا إن شاء الله تعالى ثلاثة أمثلة أيضاً وهي قارون، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل.

أما عن قارون فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَعَجَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِمَّا كُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ • وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ • قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مَنَ الْقُرُونَ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ • فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ • وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ • فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ • وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ لَنَا

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٧٦-٨٣].

هذا مثال الكنز والبخل والطمع ومنع حق الله وحق عباده وحب الذات.

أما عن قصة أصحاب الأخدود فنقرأ هذه الآيات الكريكات:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿ وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١-١١].

أما عن قصة أصحاب الفيل فقال تبارك وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١-٥].

مثال القسم الثالث:

أما عن ذكر الأحداث وبعض الغزوات، وذكر الطوائف والأقوام في عهد النبوة المحمدية فنخص منها قصة حادثة مسجد الضرار الذي أراه المنافقون لأبي عامر الراهب وأمثاله وقصة أبي لهب وزوجته.

أما حادثة مسجد الضرار فقد نبه الله عليها لما فيها من العظمت والعبء فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٧﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٧-١١٠].

أما عن قصة أبي لهب وزوجته فقد أنزل الله تعالى فيهما سورة تتلي عبرة لمن يحارب الله ورسوله المصطفى ﷺ، ويؤذي الدعوة إلى الله تعالى، ويتعرض لهم بالإيذاء والسخرية أو ما شابه ذلك فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ [المسد: ١-٥].

نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

الفصل الخامس عشر عشرين

الدعوة إلى
تحرير النفس البشرية

الدعوة إلى تحرير النفس البشرية

ومن مجالات الدعوة في الخطاب القرآني:

دعوته إلى تحرير النفس البشرية من كل صور الخوف والذل والقهر والاستعباد للطواغيت والشهوات والمادة، حتى تكون نفساً زاكية سوية متطهرة، تشق طريقها في الحياة متصلة بالله ومهتدية بهداه، فتقوم بواجبها في الخلافة علي هذه الأرض قياماً صحيحاً، وتؤدي أمانتها في عمارة الكون بالخير أداء كاملاً.

وحتى تتميز عن غيرها من سائر المخلوقات الحيوانية في سلوكها، كما ميزها الله في خلقها حيث قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. وقال جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

• عناية الإسلام بتحرير النفس البشرية:

وقد عني الإسلام بتحرير النفس البشرية من كل ما يؤثر علي استقامتها وطهارتها، وقوتها المعنوية عناية فائقة، لأنها أصل لكل تغيير يحدث في أي مجتمع قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أن لا يغير ما يقوم من نعمة أو عزة أو ذلة أو مكانة أو مهانة إلا إذا غيروا من نياتهم وأعمالهم وواقع حياتهم فيغير ما بهم وفقاً لما صاروا إليه من خير أو شر وما الله بظلام للعييد.

وإن كان الله سبحانه يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، لكن ما يفعله بهم يجيء لاحقاً وجزءاً لما يكون منهم وهذه سنته في جميع خلقه: ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

فالإنسان عنصرٌ إيجابي في صياغة حياته وتقرير مصيره، ومصير الأحداث من حوله، وليس عنصراً سلبياً كما تصوره وتريد له المذاهب البشرية المادية، فهي تجعل منه مخلوقاً خاضعاً لِحتميات متعددة: حتمية الاقتصاد، وحتمية التاريخ، وحتمية التطور، إلي آخر ما في قواميسها من حتميات لا يملك الإنسان إلا الخضوع الذليل لها بزعمهم، وكأنه ترس في آلة تديره ماكينه، وهذا امتهان لكرامته التي قال الله عنها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

لذلك وجه الإسلام ومنهاجه القرآن الكريم الإنسان إلي أن يعني بتزكية نفسه وتطهيرها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وقد أعان الله الإنسان علي تزكية نفسه وتطهيرها بأمرين:

الأول: ما أودع الله فيها من فطرة سليمة تميز الخير من الشر، كما قال تعالي: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، وفي الحديث «كل مولود يولد علي الفطرة».

الثاني: ما أنزل الله إليها من هداية في كتبه وعلي لسان رسله عليهم الصلاة والسلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] (١).

(١) راجع كتاب تحرير النفس البشرية. لعبد اللطيف محمد بدر.

ومن هذه العناية يتبين لنا أهمية تحرير النفس من كل ما يجعلها خاضعة وذليلة له إلا سلطان الحق سبحانه وتعالى وما أنزله من الوحي وما بعث به رسله عليهم السلام.

* * *

* صور تحرير النفس البشرية في القرآن:

ونقف هنا مع بعض الصور العظيمة التي دعا القرآن إلي إعمالها كسبيل لتحرير النفس وتزكيتها بنور الوحي الهادي فمن هذه الصور ما يلي:

١- تحرير النفس من العبودية لغير الله تعالى:

ونري القرآن يدعوا إلي هذه الصورة من صور تحرير النفس وهي صورة العبودية التي تقدم لغير الله تعالى من الشفاعة والذبح والنذر والتقرب بما لم يأذن به الله، وعبادة ما لا ينفع ولا يضر من الأصنام الحجرية والطاغوتية والفكرية أيضاً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿۱﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿۲﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿۳﴾ [سبأ: ٤٠-٤٢].

٢- تحرير النفس من الخوف من غير الله تعالى:

وهذه الصورة الكريمة التي عرض إليها القرآن جعل لها صوراً أيضاً فمن ذلك:

(أ) تحرير النفس من الخوف علي الحياة:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴿۱﴾

[آل عمران: ١٤٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿۱﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿۱﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال جل ذكره: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿۱﴾ [لقمان: ٣٤].

(ب) تحرير النفس من الخوف علي الرزق:

قال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿۱﴾ [النحل: ٥٣].

وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِّي تُؤْفَكُونَ ﴿۱﴾ [فاطر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

(ج) تحرير النفس من الخوف علي المكانة في المجتمع:

فالإنسان في مجتمعه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، ولا عزاً ولا نصراً، ولا رفعة ولا مكانة، ولا أي شيء من ذلك إلا بإذن الله وأمره «قل إن الأمر كله لله»، قال تعالي: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالي: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨].

وقال تعالي: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

٣- تحرير النفس من تقديس المادة:

قال عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال تعالي: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال جل جلاله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَا رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۗ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

٤- تحرير النفس من سلطان الشهوات:

قال سبحانه وتعالى: ﴿رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال سبحانه عقب هذه الآية: ﴿قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخِيرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ

تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ٢٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

٥- تحرير النفس من الجوع وذل الحاجة:

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَا يَلْفَافُ قَرِيشٌ ﴿١﴾ إِلَّا يَلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٣-٢٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

٦- تحرير النفس البشرية من سلطان الهوى:

وقد أشرنا إلي أمثلة الهوى في فصل الإتياع ونشير هنا إلي بعض الآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ

مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿ [المائدة: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ

هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿ [النازعات: ٤٠، ٤١].



خاتمة الكتاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول ﷺ وبعد:

فما قدمناه في هذا الكتاب من مجالات الدعوة الهادية، التي دعا القرآن إليها، ونوه عليها، ما هو إلا النذر اليسير، من هذا الجانب الدعوي القرآني العظيم. والذي من خلال عرضه، وبيان مجالاته، يتبين لنا أن عطاء القرآن لا ينقطع، وأن معينه لا ينضب.

لأن القرآن الكريم، هو الكتاب الرباني الحق، المتصف بكل كمال وشمول، والمحفوظ من كل تغيير أو تبديل أو تحريف.

وقد أوردنا في هذه الفصول بعضاً من تلك المجالات القرآنية الهادية للأفراد والمجتمعات البشرية، التي ضمنها الله كتاب العزيز.

والتي حوت بين جانبها كل مبادئ الهداية والسعادة، وقواعد التوجيه والإرشاد، وأصول البناء والإصلاح.

وذلك من خلال دعوة القرآن إلى الإيمان وإصلاح العقائد، وإلى طلب العلم النافع، وتهذيب النفوس بالقيم والأخلاق، وإصلاح المجتمعات بالمنهاج القرآني القويم، وسياسة الدنيا بهداية الدين، والاعتبار بالأمم السابقة وأحوالهم، والتحذير من موأطأتهم على كفرهم وإلحادهم، إلى غير ذلك ما ذكرناه.

والمأمل دائماً وأبداً لدعوات القرآن وخطاباته يرى أننا لم نأت بعد على هذه الدعوات جميعها، ولعل الله سبحانه أن يهيئ لنا جزءاً آخر نعرض فيه

مجالات أخرى لم تذكر هنا.

وحسبنا في هذا المقام أن نقف مع القرآن وقفة تأمل وتدبر، وعظة واعتبار، ونستخلص النافع المفيد- وكله نافع إن شاء الله - وأن نعمل بما دعانا إليه القرآن من جوانب الهداية والإصلاح والإرشاد.

سائلين الله تعالى أن يرزقنا التوفيق للعمل والقبول، إنه خير مرجو، وخير مأمول، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله المعلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
عاطف الفيومي

* * *

المراجع

- (١) القرآن الكريم
- (٢) تفسير القرآن العظيم: للإمام ابن كثير الدمشقي
- (٣) تيسير الكريم الرحمن: للعلامة عبد الرحمن بن سعدي
- (٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٥) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: للأستاذ عبد الرزاق نوفل
- (٦) مناهل العرفان: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- (٧) فتاوي القرآن: للشيخ محمد متولي الشعراوي
- (٨) أصول في التفسير: للعلامة محمد بن صالح العثيمين
- (٩) أضواء على إعجاز القرآن: للشيخ عكرمة صبري
- (١٠) غاية المرید: للشيخ عطية قابل نصر
- (١١) ثنائيات وثلاثيات وخماسيات هادية: للمهندس خالد حمزة
- (١٢) صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام النووي
- (١٣) شرح العقيدة الطحاوية: للإمام ابن أبي العز الحنفي
- (١٤) العقائد الإسلامية: للشيخ السيد سابق
- (١٥) إسلامنا: للشيخ السيد سابق
- (١٦) عناصر القوة في الإسلام: للشيخ السيد سابق
- (١٧) العقيدة الإسلامية: للشيخ أحمد بن منصور آل سبالك

- (١٨) بدائع الصنائع: للإمام الكاساني
- (١٩) الموافقات: للإمام الشاطبي
- (٢٠) مدارج السالكين: للإمام ابن قيم الجوزية
- (٢١) الكبائر: للإمام الذهبي
- (٢٢) تلبيس إبليس: للإمام ابن الجوزي
- (٢٣) موارد الظمآن: للشيخ عبد العزيز محمد السلطان
- (٢٤) أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان
- (٢٥) مجموعة رسائل الإمام الشهيد: حسن البنا
- (٢٦) الإتياع في ميزان الإسلام: للدكتور عبد البديع أبو هاشم
- (٢٧) المعاملات في الإسلام: الدكتور عبد الستار فتح الله
- (٢٨) الإيمان وأركانه: للأستاذ محمد نعيم ياسين
- (٢٩) شخصية المسلم: للدكتور مصطفى عبد الواحد
- (٣٠) تحرير النفس البشرية: للشيخ عبد اللطيف محمد بدر
- (٣١) العلم ضرورة شرعية: للدكتور ناصر العمر
- (٣٢) كتاب التوحيد: للدكتور صالح الفوزان
- (٣٣) العقيدة الإسلامية: للشيخ محمد بن جميل زينو.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	وقفات مع القرآن الكريم
١١	الوقفة الأولى: بيان فضل القرآن ووصفه ومنزلته
٢٠	الوقفة الثانية: بيان وجوب تدبر القرآن
٢٢	الوقفة الثالثة: بيان شمولية القرآن الكريم
٢٩	الفصل الأول: مجالات الخطاب في القرآن
٣٢	١ - خطاب القرآن للناس عامة
٣٤	٢ - خطاب القرآن للأنبياء والمرسلين
٣٦	٣ - خطاب القرآن للمؤمنين والصالحين
٤١	٤ - خطاب القرآن لأهل الكتاب وسائر الكفار
٤٣	٥ - خطاب القرآن للمنافقين وأمثالهم
٤٥	الفصل الثاني: دعوة القرآن إلى الإيمان والتوحيد ونبذ الكفر والشرك
٤٧	- ضرورة الإيمان والعقيدة
٤٩	أولاً: الإيمان والعقيدة
٤٩	أ- أركان العقيدة
٥٠	ب- أصول الإيمان في القرآن
٥٤	ثانياً: الكفر:
٥٤	- أنواع الكفر
٥٦	ثالثاً: التوحيد
٥٦	- أهمية التوحيد

الصفحة	الموضوع
٥٨	- ذكر التوحيد وأنواعه في القرآن
٦٣	رابعاً: الشرك:
٦٥	الفصل الثالث: الدعوة إلى إقامة العبادة والإخلاص فيها
٦٧	- الدعوة إلى إقامة العبادة
٦٨	- العبادة توقيفية
٦٨	- صور العبادة في القرآن
٧٣	الفصل الرابع: الدعوة إلى طلب العلم النافع
٧٥	- أسباب تحصيل العلم
٧٦	- ضرورة العلم في الحياة
٧٨	- العلم الذي يطلبه الإسلام
٨١	الفصل الخامس: الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن سفاسفها
٨٣	- معنى الأخلاق وضرورتها
٨٥	- المنهج الأخلاقي في القرآن
٩١	الفصل السادس: الدعوة إلى نبذ الكبائر والمحرمات
٩٣	- خطر يجب تداركه
٩٤	- دعوة القرآن إلى نبذ الكبائر والمحرمات
٩٥	- تعريف الكبائر
٩٧	- ذكر القرآن للكبائر وأنواعها
١٠٧	الفصل السابع: الدعوة إلى العمل الصالح
١٠٩	- دعوة القرآن إلى العمل الصالح وبيان مكانته
١١٢	- تنوع الأعمال الصالحة
١١٢	- ما يجب أن يراعي في مسألة الأعمال الصالحة

الصفحة	الموضوع
١١٥	الفصل الثامن: الدعوة إلى تحقيق مقامات العبودية
١١٧	- ذكر القرآن لمقامات العبودية
١١٩	- صور مقامات العبودية
١٢٣	الفصل التاسع: الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي
١٢٧	- منهاج القرآن في الإصلاح الاجتماعي
١٢٨	- أمثلة الإصلاح الاجتماعي في القرآن
١٣٥	الفصل العاشر: الدعوة إلى إصلاح النظام الاقتصادي
١٣٨	- مبادئ النظام الاقتصادي في القرآن
	الفصل الحادي عشر: الدعوة إلى إقامة العقوبات الشرعية على
١٤٥	المخالفين والمعتدين
١٤٨	- الجريمة وأنوعها
١٤٩	- تشريع العقاب
١٥٠	- العقوبات والحدود في القرآن
	الفصل الثاني عشر: الدعوة إلى الحذر من الشيطان واتباعه وبيان
١٥٥	عداوته للإنسان
١٥٧	- بيان ما يدعو إليه الشيطان
١٥٩	- الشيطان في القرآن
	الفصل الثالث عشر: الدعوة إلى الاتباع الشرعي والإعراض عن
١٦٩	الاتباع غير الشرعي
١٧١	أولاً: الاتباع الشرعي
١٧٢	- صور الاتباع الشرعي
١٧٤	- ثمرة الاتباع الشرعي

الصفحة	الموضوع
١٧٥	ثانياً: الاتباع غير الشرعي وصوره
١٨٥	- آثار الاتباع غير الشرعي
	الفصل الرابع عشر: الدعوة إلى معرفة التاريخ وقصص الأمم
١٨٧	السابقة للاعتبار والعظة
١٩٠	- القصص القرآني
١٩١	- أقسام القصص في القرآن
١٩١	- تكرار القصص في القرآن
١٩٤	- حكمة القصص في القرآن
١٩٥	- أمثلة القصص في القرآن
١٩٩	الفصل الخامس عشر: الدعوة إلى تحرير النفس البشرية
٢٠١	- عناية الإسلام بتحرير النفس البشرية
٢٠٣	- صور تحرير النفس البشرية في القرآن
٢٠٩	خاتمة الكتاب
٢١١	المراجع
٢١٣	الفهرس
